٢

طه عبد الله العفيفي

الصفات الواجبة والمستحيلة
والجائزة في حق

الرسل

عليهم الصلاة والسلام

الدار المصرية اللبنانية DM

الصفات الواجبة والمستحيلة
والجائزة في حق
الرُّسُل
عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الناشــر : الــدار المصريــة اللبنانيــة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٩٦٩٧ / ٩٣
الترقيم الدولي : 2 - 116 - 270 - 977
جمــع : آر ـ تك
العنوان : ٣٣٩ ش السودان تليفون : ٣٤٧٢٥٥٥
طبع : مطبعة آمــون
العنوان : ٤ عطفة فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ـ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م
تصميم الغلاف : صالح وحيد

الصفات الواجبة والمستحيلة
والجائزة في حق

الرسل

عليهم الصلاة والسلام

طه عبد الله العفيفي
خادم القرآن والسنة

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (١).

---

(١) البقرة : ٢٨٥.

(فَأنَا اللَّبنَةُ وأنَا خَاتَمُ النَّبيِّينَ)

عن أبى هريرةَ رضى الله عنهُ ، عن النبى ﷺ ، قال :

(إنَّ مثَلى وَمَثَلَ الأَنبياء منْ قَبْلى كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بيتاً فأحْسَنَهُ وأجْملَهُ إلاَّ مَوْضعَ لَبنة [1] منْ زَاويةٍ ، فَجعَلَ النَّاسُ يَطوفُونَ به ويَعْجبُونَ لَهُ ويَقُولُونَ : هَلاَّ وُضعَتْ هَذه اللَّبنَةُ ، قال : فَأَنَا اللَّبنَةُ وأنَا خاتَمُ النَّبيِّينَ) .

رواه الشيخان والترمذى .

---

(١) اللبنة : الطوبة التى يبنى بها ، فبظهوره ﷺ خُتِمَ النبيون ، وبشرعه تمت الشرائع والأخلاق ، كحديث : (بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) .

الإهـــداء :

إلى جميع الإخوة الفضلاء طلاب العلم النافع .. فى مشارق الأرض ومغاربها :

أُقـدم هذا الجـهـد المتـواضع الذى ينبـغى على كل مـسلم ومسلمة أن يقف عليه ، وهو : (**الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام**)

وكلى أمل فى أن يكون زاداً لهما إلى الله ، والله ولى التوفيق.

المؤلف

تمهيد :

أخى المسلم ، أختى المسلمة :

كما هو معلوم لنا نحن المؤمنين بصفة خاصة : أن الله تبارك وتعالى قد شاءت إرادته ، واقتضت حكمته أن يرسل رسله المبشرين والمنذرين إلى بنى البشر من أول أبينا وسيدنا آدم إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام ـ لكى يؤدوا وظيفة هامة لصالح البشر أجمعين . حتى يكونوا بسبب هذا من عباد الله الحقيقيين إلى يوم الدين .

وقد قرأت ، حول هذا المعنى كلاماً هاماً للإمام الشيخ محمد عبده ، فى رسالة (التوحيد) ، قال فيها تحت عنوان :

وظيفة الرسل عليهم السلام

عن الرسل ، أنهم من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص ، وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ، ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه ، ولكنها حاجة روحية ، وكل ما

لاَمَسَ الحِسَّ منها فالقصد فيه إلى الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو إيداعها ما فيه سعادتها في الحياتين .

وأما تفصيل طرق المعيشة والحذق في وجوه الكسب ، وتطاول شهوات العقل إلى إدراك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم ـ فذلك مما لادخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقرير أن شرط ذلك كله ألا يحدث ريباً في الاعتقاد بأن للكون إلـٰهاً واحداً قادراً عالماً حكيماً متصفاً بما أوجب الدليل أن يتصف به ، وباستواء نسبة الكائنات إليه في أنها مخلوقة له وصنع قدرته ، وإنما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال ، وشرطه ألا ينال شيء من تلك الأعمال السابقة أحداً من الناس بشر في نفسه أو عرضه أو ماله بغير ما يقتضيه نظام عامة الأمة على ما حدد في شريعتها .

يرشدون العقل إلى الله وما يجب أن يُعرف من صفاته ، ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه ، ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة ، يجمعون كلمة الخلق على إله واحد لا فرقة معه ، ويخلون

السبيل بينهم وحده ، وينهضون نفوسهم إلى التعلق به فى جميع الأعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الأوقات ، تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن يخشى ، تقوى ما ضعف منهم ، وتزيد المستيقن يقيناً.

يُبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم ، فيفصلون فى تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ، ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ، ولا تفوت به المنافع الخاصة .

يعودون بالناس إلى الألفة ، ويكشفون لهم سر المحبة ، ويُلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة ، ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ، ويشعروها أفئدتهم ، يعلمونهم لذلك أن يرعى كل حق الآخر وإن كان لا يغفل حقه ، وألاّ يتجاوز فى الطلب حده ، وأن يعين قويهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدى راشدهم ضالهم ، ويُعلم عالمهم جاهلهم

يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق مع بيان الحق الذى تهدر

له ، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق مع بيان الحق الذى يبيح تناوله ، واحترام الأعراض ، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع ، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة ، كالصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود [1] ، والرحمة بالضعفاء ، والإقدام على نصيحة الأقوياء ، والاعتراف لكل بحقه دون استثناء [2] .

يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية ، إلى طلب الرغائب السامية ، آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والإنذار والتبشير ، حسبما أمرهم الله جل شأنه .

يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، وما يعرضهم لسخطه عليهم ، ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده ، وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع فى محظوراته .

يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده فى العلم به [3] مما

(١) ومنها المعاهدات مع الأجانب .
(٢) أى لا فرق فيه بين مسلم وكافر وقوى وضعيف وقريب وبعيد .
(٣) كالملائكة .. والجن وأحوال الآخرة .

لو صعب على العقل اكتناهه ، لم يشق عليه الاعتراف بوجوده .

بهذا تطمئن النفوس ، وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر ، انتظاراً لجزيل الأجر ، أو إرضاء لمن بيده الأمر ، وبهذا ينحل أعظم مشكل فى الاجتماع الإنسانى لايزال العقلاء يجهدون أنفسهم فى حله إلى اليوم [1] ....الخ .

فتلك هى وظيفة الرسل .. التى لابد أن نكون على علم بها.. والتى من أهمها ، بل أهمها أن الله تعالى قد بعثهم جميعاً من أجل هدف واحد ، هو دعوة العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذهم مُقرُّون بذلك ، وقد قال الله تبارك وتعالى مشيراً إلى هذا : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [2] .

كما قال الله تعالى مشيراً إلى إقرارهم بوجود الله واعتراضهم على عبادة الله وحده : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ [3] ، أى

---

(١) يعنى مشكل العمال وما نشأ عنه من المذاهب الفوضوية بأنواعها ، وأوربا كلها فى حيرة من تلافى هذا الأمر .. ويسهل تلافيه بالدين الإسلامى الذى فرض الزكاة وأمر بالصدقة وهدى الأنفس إلى الرضا بما قسم لها ؛ طلباً لسعادة الآخرة مع بذل الجهد فى السعى .

(٢) النحل : من الآية : ٣٦ .

(٣) الأعراف : من الآية :٧٠ .

لنفرده بالعبادة ، ونخصه بها من دون آلهتنا ؟ ..

فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه ــ سبحانه ــ وتبين أن هذا الاعتقاد الذى يعتقدونه فى الأنداد باطل ، وأن التقرب إليهم باطل ، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده .. وهذا توحيد العبادة ، وقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده .

ومن هذا نعرف أن التوحيد الذى دعتهم إليه الرسل من أولهم ـ وهو سيدنا نوح عليه السلام [(١)] ـ إلى آخرهم ـ وهو محمد ﷺ ـ هو توحيد العبادة ؛ ولهذا تقول لهم الرسل : ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [(٢)] ، ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [(٣)] .

وقد كان المشركون ، منهم : من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم : من يعبد أحجاراً ـ وهى الأصنام التى كانت تعبد من دون الله وحده ـ ويهتف بها عند الشدائد ، فبعث الله محمداً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، بأن يفردوه بالعبادة ،

(١) ليس أول الرسل نوحاً ، بل آدم عليه السلام ، وإنما نوح أولهم بعد الطوفان ..

(٢) هود : من الآية : ٢٦ .

(٣) الأعراف : من الآية : ٥٩.

كما أفردوه بالربوبية ، أى بربوبية السماوات والأرض ، وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة : (لا إله إلا الله) معتقدين لمعناها ، عاملين بمقتضاها ، وألا يدعوا مع الله أحداً .

.. هذا ، وإذا كنا قد وقفنا على هذا التمهيد الذى أردت به أن نعرف (**وظيفة الرسل**) حتى نعرف من خلال هذا العرض السريع ـ مدى ما تحملوه من مسئوليات حتى بلغوا رسالات الله تعالى بكل صدق ، وصبر ، وإخلاص :

.. فإننى أحب أن أذكر بعد ذلك ، بأنه يجب على كل مؤمن أن يعتقد أن الله تعالى قد أرسل لعباده أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، الذى يقول مخاطباً حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [1] .

وأن سيدنا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء ، أرسله الله تعالى للإنس والجن كافة ، قال تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [2] ، وقال : ﴿وَمَآ

---

(١) سورة غافر : من الآية : ٧٨ .

(٢) الأحزاب : من الآية ٤٠ .

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ [2] مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [4] .

وقد ورد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، قال : انطلق رسول الله ﷺ إلى البَرَاز [5] فخطّ خطًّا وأدخلني وقال : لاتَبرح

---

(١) سبأ : من الآية ٢٨ .

(٢) وقد قالوا هذا لأنهم كانوا من أتباع سيدنا موسى ، وقيل : لأن الإنجيل كان مكملاً للتوراة .. والله أعلم .

(٣) الأحقاف : من ٢٩ - ٣١ .

(٤) الجن : الآيتان : ١ و ٢ .

(٥) البَرَاز بفتح الباء هو فى الأصل الفضاء الواسع الخالى من الشجر ، ثم كُنى به عن الخارج من الدبر .

حتى أرجع إليك . ثم أبطأ فما جاء حتى السحَر ، وجعلتُ أسمع الأصوات ، ثم جاء ، فقلت : أين كنتَ يارسول الله ؟ قال : أُرسلتُ إلى الجن . فقلت : ما هذه الأصوات التى سمعتُ ؟ قال : هى أصواتهم حين ودَّعونى وسلَّموا علىَّ . أخرجه الطحاوى .

وقال علقمة : قلت لابن مسعود : هل صحبَ النبىَّ ﷺ ليلة الجن منكم أحدٌ ؟ قال : ما صَحبهُ منا أحدٌ ، ولكن قد افتقدناه ذاتَ ليلة وهو بمكة ، فقلنا اغْتيلَ أو استُطير [(١)] ما فُعِل به؟ فبتنا بِشَرٍّ ليلة بات بها قوم ، حتى إذا أصبحنا أو كنا فى وجه الصبح ، إذا نحن به : يجىء به مِن قِبَلِ حراء . قال : فذكروا الذى كانوا فيه . فقال : أتانى داعى الجن ، فأتيتهم فقرأتُ عليهم ، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد : فقال : لكم كل عظم ذُكرَ اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً [(٢)] ، وكلٌّ بعرة أو روثة علفٌ لدوابكم . فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن**) .

---

(١) (اغتيل) بصيغة المجهول أى قتل سِرًا (واستطير) بصيغة المجهول أى : طارت به الجن .

(٢) هذا لمؤمنيهم ، وأما غيرهم فطعامه ما لم يذكر اسم الله عليه كما فى رواية الترمذى

أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى . وقال حسن صحيح .

.. وبعد ـ أخا الإسلام ـ فهؤلاء هم رسل الله ، وهذا هو خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .. الذين يجب عليك بصفتك مكلفا أن تعرف الصفات الواجبة لهم ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة فى حقهم عليهم الصلاة والسلام .

وأن تعرف كذلك العدد المذكور منهم فى القرآن ، وهم : خمسة وعشرون .. كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله :

حَتماً على كُلِّ ذى التكليف معرفة

بأنبياء على التفصيل قد عُلموا

فى تلك حجتنا [1] منهم ثمانية

من بعد عشر ويبقى سبعة وَهُمُو

إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، وكذا

ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد خُتِموا

(١) أى من أول قوله تعالى (وتلك حجتنا) إلى قوله : (وكُلاًّ فضلنا على العالمين) ، بسورة الأنعام ، الآيات : ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ .

إلى آخر تلك الأخبار والآثار المتعلقة بهم ،والتى ينبغى عليك بصفتك مسلما مكلفا أن تكون على علم بها ...

.. ولهذا ، فقد وضعتُ بين يديك أهم هذا الذى أشرتُ إليه، والذى أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً به ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا .. فإليك [1] أولا بعض الأساسيات التى أرى أنه من الضرورى ـ إتماما للفائدة ـ أن تقف عليها كدراسة لهذا الموضوع الأساسى الذى ندور حوله .

التعريف بالرسل وطبيعتهم وحاجة الناس إليهم

فحول هذا العنصر الهام الذى ينبغى أن يكون موضع دراسة ـ يقول الإمام محمد عبده ، رحمه الله :

(الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان ، فيجب الاعتقاد بأن الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه ، قاموا بتبليغ أممهم ما أمرهم ـ الله ـ بتبليغه من تنزيه لذاته ، وتبيين لسلطانه القاهر على عباده ، وتفصيل لأحكامه ، فى فضائل

(١) كما قرأته فى النشرة رقم ٥٥ (لوزارة الأوقاف المصرية) عام ١٩٧٠ م .. بتصرف وإيجاز .

الأعمال ، وصفات يطالبهم بها ، وفى مثالب فعال (نقائص فعال) ، وخلائق ينهاهم عنها ، وأن يعتقد بوجوب تصديقهم فى أنهم يبلغون ذلك عن الله ، ووجوب الاقتداء بهم فى سيرهم ، والائتمار بما أمروا به ، والكف عما نهوا عنه .

كما يجب الإيمان بأن الرسل مؤيدون من العناية الإلٰهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية ، وأن هذا الأمرَ الفائق لمعروف البشر هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه . فمتى ادعى الرسول النبوة ، واستدل عليها بالمعجزة ـ وجب التصديق برسالته .

ومن لوازم ذلك بالضرورة : وجوب الاعتقاد بِعُلُوِّ فطرتهم ، وصحة عقولهم ، وصدقهم فى أقوالهم ، وأمانتهم فى تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه ، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، وأنهم منزهون عما يضاد شيئًا من هذه الصفات المتقدمة ، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلٰهى بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية .

أما فيما عدا ذلك ، فهم بشر يعتريهم ما يعترى سائر أفراد البشر ، يأكلون ويشربون وينامون ويسهرون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، ويمرضون ، وتمتد إليهم أيدى الظلمة ، وينالهم الاضطهاد ، وقد يُقْتَلُون . [1]

(رسالة التوحيد : ص ٨٢ ، ط دار المعارف)

بشرية محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بشراً قبل أن يبعثه الله رسولاً ، له طبيعة البشر ، يأكل ويشرب ، ويصحو ويرقد ويغضب ويفرح ، إلى غير ذلك من أعمال البشر .

ولقد أنكر الكفار قديماً على رسُلِ الله أن يكونوا مثل الناس يأكلون وينكحون ويمشون فى الزحام ، وكذلك قال كفار قريش فى رسول الله ﷺ :

١ ـــ قال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾

(١) ولسوف نناقش كل هذا بالتفصيل .. إن شاء الله ..

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (١).

ففى هذه الآيات يخبر تبارك وتعالى عن تعنت الكفار وعنادهم، وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل . فهم يستنكرون أن يأكل الرسول الطعام ويحتاج إليه كما يحتاجون هم إليه ، ويتردد فى الأسواق للتكسب والتجارة مثلهم ، ثم يقولون : هلاَّ أُنزل ملَكٌ من عند الله فيكون له شاهداً على صدق ما يدعيه ، وهذا كما قال فرعون لموسى :

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (٢).

(ابن كثير : ج ٣ ص ١١٠) .

وقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم هذا القول بقوله :

٢ ـــ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ (٣).

---

(١) الفرقان : ٧و ٨ .

(٢)الزخرف : ٥٣ .

(٣) الأنعام : ٨ و ٩ .

ومعنى ذلك أننا لو أنزلنا مع الرسول البشرى ملكًا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يلبسون على أنفسهم فى قبول رسالة البشرى .

فمن رحمة الله بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلاً منهم يدعو بعضهم بعضاً ، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض فى المخاطبة والسؤال ، كما قال تعالى :

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] .

(ابن كثير : ج ٢ ص ١٢٤) .

بشرية جميع المرسلين إلى البشر

فالرسول عليه الصلاة والسلام يجرى عليه كل ما يجرى على البشر ، وإنما يمتاز عنهم بوحى الله ، وبتنشئته تنشئة تليق بمهمته، وكذلك الشأن بالنسبة لجميع المرسلين .

---

(١) آل عمران : ١٦٤ .

قال تعالى :

١ - ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (١).

ومعنى الآية : أن الرسل لم يكونوا من أهل السماء كما طلب الكفار .

وقال تعالى :

٢ - ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى :

٣- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) يوسف : ١٠٩ .

(٢) إبراهيم : ١١ .

(٣) الأنبياء :٧و٨ .

أى : أن جميع الرسل الذين أُرسلوا إلى البشر للتبشير والإنذار والتعليم ـ كانوا رجالاً من البشر ، ولم يكن فيهم أحد من الملائكة، ولكى تدركوا صدق ذلك اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف : هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة ؟

وإنما كانوا بشراً ، وذلك من تمام نعمة الله على خلقه ، إذ بعث فيهم رُسُلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم .

(ابن كثير : جـ ٣ ص ١٧٤) .

وقال تعالى :

٤ ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١) .

وفى السنة الشريفة ، ورد :

---

(١) الكهف : ١١٠ .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا بشر ، أنسى كما تنسون ، فإن نسى أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس) رواه أحمد وابن ماجه (صحيح) (الجامع الصغير : جـ١ ص ١٧٦) .

وإنما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعتراه السهو فى الصلاة ، وغَنِىٌّ عن التنبيه أن السهو هنا وإن كان من طبيعة البشر ـ قد وقع للرسول عليه الصلاة والسلام للتشريع حتى إذا سها أحد أفراد أمته فى صلاته سجد سجدتى السهو .

وعن أم سلمة رضى الله عنها ، أن الرسول ﷺ قال : (إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلىَّ ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته [1] من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها) رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم . (المصدر السابق) .

ففى هذا الحديث أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام أنه حين يحكم بين الناس إنما يحكم بينهم حسب النمط البشرى الذى يزن الحجة بالحجة بصرف النظر عن الواقع والحقيقة .

(١) ألحن بحجته : أى أفصح وأبلغ .

حاجة الناس إلى الرسل

قال ابن القيم : (إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا على أيدى الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأى ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع فى المقلاة . فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسول كهذه الحال بل أعظم ، ولكن لا يحس بها إلا قلب حى ، وإذا كانت سعادة العبد فى الدارين معلقة بهدى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من

هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلية ، ويدخل به فى عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس فى هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم ، والفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

(ابن القيم فى زاد المعاد على هامش الزرقانى : جـ١ ص ٤٦ ، ٤٧) .

١- قال تعالى فى وصف النبى ﷺ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ ، فيما رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى : (مَثَلِى كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، قال : فذلكم مثلى

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .

ومثلكم ، أنا آخذ بحُجَزِكم عن النار ، هَلُمَّ عن النار ، هَلُمَّ عن النار . فتغلبونى تقحمون فيها) اللفظ لمسلم .

(زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم : جـ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٦) .

بين الفلاسفة والمرسلين

قال رشيد رضا ـ رحمه الله :

(إن حكمة الحكماء وعلوم الفلاسفة آراء بشرية ناقصة وظنون لاتبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول . وهى عرضة للتخطئة والخلاف . ولا يفهمها إلا فئة مخصوصة من الناس ـ وما كل من يفهمها يقبلها ، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجحها على هواه وشهواته ؛ إذ لاسلطان لها على وجدان العالم بها ، فالا يكون لها تأثير الإيمان وإسلام الإذعان والتعبد ؛ لأن النوع البشرى يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله فى بشريته وإن فاقه فى علمه وحكمته ـ وإنما يدين الإنسان لمن يعتقد أن له سلطاناً غيبياً عليه بما يملكه من القدرة على النفع

والضر بذاته دون الأسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه .

وأضرب لهذا مثلاً :

إنه كان للفيلسوف الرئيس ابن سينا خادم متعلم معجب بعلومه وفلسفته ، وكان يعجب منه كيف يدين بملة محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعه وهو فى رأيه أعلم منه وأرقى ؟ وكان يُكاشفه بذلك فيعرض عنه أو يُوبخه ، فاتفق أن كَانَا فى مدينة أصفهان فى ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج : فأيقظ الرئيس خادمه فى وقت السحر وطلب منه ماءً ليتوضأ به ، فاعتذر بشدة البرد ، حتى إذا قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله . قال الرئيس لخادمه : اسمع ماذا يقول المؤذن . قال إنه يقول : أشهد أن محمداً رسول الله . قال الرئيس : الآن قد آن لى أن أُبين لك ضلالك القديم . إنك خادمى لا عمل لك غير خدمتي ، وإنك أشد الناس إعجاباً بى وإجلالاً وتعظيماً لى ، حتى إنك تُفضلنى على رسول الله ﷺ ، وتنكر على أن أومن به وأتبعه . وإنك على هذا كله تخالف أمرى فى أهون خدمة أطلبها منك فى داخل الدار معتذراً بشدة البرد ، وإن هذا المؤذن الفارسى

يخرج من بيته قبل الفجر ويصعد هذه المنارة ، وهى أشد مكان فى البلد برداً ، حتى إذا لاح له الفجر أشاد أذانه بذكر محمد العربى بعد مرور أربعة قرون ونيف على بعثته إيماناً وإذعاناً وتعبداً واحتساباً، فتأمل هذا وتدبره فى نفسك يظهر لك الفرق بين سلطان النبوة على الناس وسلطان العلم والفلسفة) .

(الوحى المحمدى لرشيد رضا : ص ٤٧ ، ٤٨) .

ويقول الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله : (وهل كفى فى إقناع جماعة أمة قول عاقلهم إنهم مخطئون وإن الصواب فيما يدعوهم إليه ، وإن أقام على ذلك من الأدلة ما هو أوضح من الضياء وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء ؟

كلا ، لم يُعرف ذلك فى تاريخ الإنسان ، ولا هو مما ينطبق على سننه ..

وكل إنسان مهما علا فكره وقوى عقله ، أو ضعفت فطنته ، وانحطت فطرته ، يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة أرفع من قوته .. وتشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى ، فتطلبها من حِسّها تارة ، ومن عقلها تارة أخرى ، ولا سبيل لها إلا الطريق

التى حددت لنوعها وهى طريق النظر ، فذهب كل فى طلبها وراء رائد الفكر .. فأقام له من بين أفراده مرشدين هادين وميزهم من بينها بخصائص فى أنفسهم لا يشركهم فيها سواهم ، وأيد زيادة الإقناع بآيات باهرات ، تملك النفوس ، وتأخذ الطريق على سوابق العقول ، فيستخذى الطامح ، ويذل الجامح ، ويصطدم بها عقل العاقل ، فيرجع إلى رشده ، وينبهر لها بصر الجاهل ، فيرتد عن غيه .

يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ، ويدهشون المدارك ببواهر من آياته ، فيحيطون العقول بما لامندوحة عن الإذعان له ، ويستوى فى الركون لما يجيئون به المالك والمملوك ، والسلطان والصعلوك ، والعاقل والجاهل ، والمفضول والفاضل ، فيكون الإذعان لهم أشبه بالاضطرارى منه بالاختيارى النظرى .

يعلمونهم ما شاء الله أن يصلح به معاشهم ، ومعادهم ، وأراد أن يعلموه من شئون ذاته وكمال صفاته (أولئك هم الأنبياء والمرسلون) صلوات الله وسلامه عليهم من متممات كون الإنسان، ومن أهم حاجاته فى بقائه ، ومنزلتها من النوع منزلة

العقل من الشخص ، نعمة أتمها الله ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١) .

(رسالة التوحيد : ص ٩٩ وما بعدها)

الرسل طائفة مختارة من الله

١ - قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢) .

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقدره ، ومن الناس لإبلاغ رسالته .

(ابن كثير : جـ ٣ ص ٢٣٥)

وقال الطبرى فى تفسيرها : « إن الله يختار من الملائكة رسلاً كجبريل وميكائيل اللذين كان يرسلهما إلى أنبيائه ومن شاء من عباده ، ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بنى آدم .

وسبب نزول هذه الآية : أن المشركين لما قالوا : أَأُنْزِلَ عليه الذكر من بيننا ؟ . قال الله لهم ذلك إلى وبيدى دون خلقى

(١) النساء : من الآية : ١٦٥ .

(٢) الحج : ٧٥ .

فاختاروا من شئتم للرسالة » .

الطبرى : جـ ١٧ ص ١٤٢) .

٢- وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (١) .

يقول الطبرى عند تفسير هذه الآية : « إن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا » .

(الطبرى : جـ ٢٣ ص ١١١)

٣- وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقرئ : من أنفسكم ؛ بفتح الفاء : من النفاسة : أى من أشرفكم .

(الجمل : جـ ٢ ص ٣٣٠) .

---

(١) سورة (ص) : ٤٧ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

روى جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية .

وقال ﷺ : (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح).

وعن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، ومن لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يمسني من سفاح الجاهلية شيء » .

رواه الطبراني في الأوسط ، وابن عساكر .

(ابن كثير: ج٢ ص٤٠٣) ، (شرح الزرقاني : ج١ ص٦٧) .

وقد ورد في السنة المطهرة :

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني في خيرهما ، فأخرجت من بين أخويّ (بتشديد الياء)

فلم يُصبنى شىء من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى ، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً) رواه البيهقى .

(الجامع الصغير : جـ١ ص ١٨٤)

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (بعثتُ من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) رواه البخارى .

(شرح الزرقانى : جـ١ ص ٦٨) .

* وعن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول اللله ﷺ : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم) رواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه مسلم .

(شرح الزرقانى : ج١ ص ٦٨) ، (تحفة الأحوذى على الترمذى : ج١٠ ص ٧٤) .

* وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم ، وخير الفريقين ، ثم خير القبائل فجعلنى من خير القبيلة ، ثم خير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً) رواه الترمذى .

(تحفة الأحوذى : ج ١٢ ص ٧٥) .

* وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله اختار خلقه ، فاختار منهم بنى آدم ، ثم اختار من بنى آدم العرب ، ثم اختارنى من العرب ، فلم أزل خياراً من خيار . ألا من أَحَبَّ العربَ فَبِحُبِّى أُحِبُّهُم ، ومن أبغض العربَ فَبِبُغضِى أبغضهم) رواه الطبرانى فى الأوسط (شرح الزرقانى : ج١ ص ٦٨) .

وظيفة الرسول محمد ﷺ ، وهى وظيفة كل رسول

١- تلقى الوحى من الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ

﴿... مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

* فهذه الآية تنصُّ على أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ قد تلقى الوحى كما تلقته الأنبياء قبله .

٢- يُبلغ ما تلقاه من الوحى إلى الناس :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

* ففى هذه الآية يخاطب الله سبحانه عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة ، آمراً له بإبلاغ جميع ماأُنزل إليه من ربه ، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك ، وقام به أتم القيام .

قال البخارى بسنده المتصل إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : مَن حدثك أن محمداً كتم شيئاً مماَّ أنزل الله عليه فقد كذب . وهو يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴾ الآية .

---

(١) الشورى : ٥٢ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس ، فجاء رجل فقال : إن ناساً يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول الله ﷺ للناس ، فقال ابن عباس : ألم تعلم أن الله تعالى قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ والله ما ورّثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء .

رواه ابن حاتم باسناد جيد (ابن كثير ج ٢ ص ٧٧)

٣ ـ يوضح لأمته ما أنزل الله إليها :

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

والمعنى : أنا أنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما أُنزل إليهم ، أى من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له ، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم فتفصّل لهم ما أُجمل ، وتبين لهم ما أشكل ، ولعلهم يتفكرون ، أى ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة فى الدارين .

(ابن كثير : ج٢ ص ٥٧١) .

(١) النحل : من الآية : ٤٤ .

٤ ـ معلم البشرية ومربيها :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١) .

* وهكذا بعث الله عبده ورسوله محمداً ﷺ ليعلم من كان معه من العرب الأُمِّيِّينَ وغيرهم ، فرسالته لم تقتصر على هؤلاء بل تعدتهم إلى كافة الخلق .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ ﴾ (٣) .

قال البخارى بسنده عن أبى هريرة : كنا جلوساً عند النبى

---

(١) الجمعة : ٢ – ٤

(٢) سبأ : من الآية : ٢٨

(٣) الجمعة : من الآية : ٣ .

ﷺ ، فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يُراجعهم حتى سُئل ثلاثًا . وفينا سلمان الفارسي . فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ، ثم قال (لو كان الإيمان في الثُّريًّا لناله رجال أو رجل من هؤلاء) متفق عليه . (ابن كثير : ج ٤ ص ٣٦٣) .

* ففي هذا الحديث دليل على عموم بعثته للأُمِّيِّين وغيرهم؛ لأنه فسر قوله تعالى : « وآخرين منهم » بفارس؛ ولهذا كتب إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به .

٥ ـ داع إلى دين الله بالتبشير والإنذار :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (١) .

* فمن وظائف الرسول ﷺ التي ذكرتها الآية : الشهادة والبشارة والإنذار ، وكلها وسائل لهداية الخلق إلى طرق الحق ، فهو

(١) الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٧ .

السراج المنير كما صرحت الآية . ومن شأن الضوءالكشف والتوضيح ، فهو ﷺ يشهد لهم بالصدق الذى ليس فيه لبّس ، ويبشّر وينذر بالحق الذى لا يخالطه شك .

٦ ـ التطبيق الرائد الكامل الملتزم :

قال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ... ﴾ (١) .

* واستقم : أمر بالاستقامة فى جميع أموره ﷺ ، والاستقامة أن يكون على خط مستقيم . ولا يتّبع شيئًا من أهوائهم الباطلة .

* وقل آمنت بجميع الكتب المنزلة ، وفى هذا القول بيان لاتفاق الكتب السماوية فى الأصول ، وتأليف لقلوب أهل الكتابين (اليهود والنصارى) وتعريض بهم ؛ حيث لم يؤمنوا بجميعها .

* وأمرنى الله تعالى بما أمرنى به لأعدل بينكم فى تبليغ الشرائع والأحكام ، فلا أخص منها شخصًا دون شخص . وقيل :

---

(١) الشورى : من الآية : ١٥ .

لأعدل بينكم فى الحكم إذا تخاصمتم . وقيل : لأسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا أعلمه ، ولا أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، ولا أفرق بين أصاغركم وأكابركم فى إجراء حكم الله عز وجل .

(روح المعانى : ج ٧ ص ٥١٤) .

وقال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١) .

* والمعنى : ثم جعلناك على طريقة من الدين ، حيث يرد الناس منها أمر الله تعالى ورحمته والقرب منه عز وجل ـ فاتبع يا محمد هذه الطريقة ولا تتبع أهواء الجهلة وآراءهم التابعة للشهوات من كفار قريش ويهود بنى قريظة وكل ضال غيرهم ؛ فإن هؤلاء جميعاً لن يُغنوا عنك شيئًا ، وهؤلاء ظالمون لا يواليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالمًا مثلهم ، والله ولى المتقين الذين أنت قدوتهم . وهذا الاتباع للشريعة بمنزلة البصائر للقلوب وهُدًى

(١) الجاثية : ١٨ ـ ٢٠ .

ورحمة لقوم يوقنون .

ولذا أوجب الله الاقتداء به ﷺ .

(روح المعانى للألوسى : ج ٨ ص ٦٦) .

قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١) .

* والمعنى : والله لقد كان لكم فى رسول الله خِصلة حسنة من حقها أن يؤتَسَى ويُقتَدَى بها ، كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد ، وغير ذلك من أفعاله ﷺ .

(روح المعانى : ج ٧ ص ٢٠) .

وقد ورد فى السنة المطهرة :

* عن حفص بن عاصم قال : قلت لعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : رأيتك فى السفر لا تصلى قَبل الصلاة (أى لا تصلى نافلة) ولا بعدها . فقال : يابن أخى : صحبتُ رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فلم أره يصلى قبل الصلاة ولا بعدها ـ أى :

(١) الأحزاب : ٢١ .

فى السفر ـ ويقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾. (رواه ابن ماجه وابن أبى حاتم)

* وعن قتادة قال : هَمَّ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ـ أن ينهى عن الحِبَرة (بكسر الباء : نوع من الكساء) فقال رجل : أليس قد رأيتَ رسول الله ﷺ يلبسها ؟ قال عمر : بلى . قال الرجل : ألم يقل الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ؟ فترك ذلك عمر رضى الله عنه .

(أخرجه عبد الرازق فى مصنفه)

* وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه سُئِل عن رجل معتمر (زائر الكعبة) طاف بالبيت : أيقع على امرأته قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؟ فقال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وسَعى بين الصفا والمروة ، ثم قرأ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ متفق عليه .

(ومصدر هذه الأحاديث تفسير الألوسى : ج ٧ ص ٢١)

* فليكن كل هذا ـــ أخا الإسلام ـ نصب عينيك ، وليكن

أَساَساً فى تلك الدراسة الهامة ، التى أرجو أن تلاحظ أنها من أهم الدراسات العقائدية التى يجب أن تكون أساساً فى جميع الدراسات الإسلامية .

وحتى لا أطيل عليك ..

فإليك أبواب الدراسة التى سترى فيها خيراً كثيراً إن شاء الله :

ذكر عدد الأنبياء والمرسلين

ولكى نقف على عدد الأنبياء والمرسلين ، فإنه حسبنا أن نقف على النصوص الآتية :

* روى أبو ذر قال : قلت يارسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً) ، قلتُ : يارسول الله ، كم المرسل من ذلك ؟ قال : (ثلاثمائة وثلاثة عشرَ جمّاً غفيراً) ، قلت : من كان أولهم ؟ قال : (آدم صلى الله عليه وسلم) ، قلت : يارسول الله ، أنبى مرسل ؟ قال : (نعم ، خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه ، وسوَّاه قُبلاً ، ثم قال : (يا أبا ذر ، أربعة سريانيون [1] : آدم ، وشيث ، وأخنوخ وهو إدريس ، وهو أول من

---

(١) فى المعارف لابن قتيبة : خمسة وخامسهم إبراهيم .

خط بالقلم ، ونوح . وأربعة [١] من العرب : هود ، وشعيب ، وصالح ، ونبيك يا أبا ذر . وأول أنبياء بنى إسرائيل : موسى وآخرهم عيسى). قلت : يارسول الله : كم كتاباً أنزل الله عز وجل ؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب : أنزل الله عز وجل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف [٢] ، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان) . قلت : يارسول الله ، وما كانت صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : (أمثالاً كلها : « بعثتك لتردّ عنى دعوة المظلوم ، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر ») قلت يارسول الله ، ما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : (كانت عبراً كلها : « عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن أيقن بالقَدر ثم هو ينصَب ، وعجبتُ لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل ») .

* وفى مسند أبى يَعْلَى : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبى عن عبيد الله عن أبى مليح ، حدثنا جابر بن عبد الله قال :

---

(١) فى المعارف لابن قتيبة : خمسة وخامسهم إسماعيل .

(٢) فى المعارف لابن قتيبة : عشرون صحيفة .

أنزل الله صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزل التوراة على موسى لِستٍّ خَلَوْنَ من رمضان ، وأنزل الزّبور على داود فى إحدى عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن على محمد ﷺ فى أربع وعشرين خلت من رمضان .

* وقد روى وهب عن ابن عباس ، قال : الرسل ثلاثمائه وخمسة عشر ، منهم عبرانيون وهم : آدم ، وشيث ، وإدريس ، ونوح ، وإبراهيم . وخمسة من العرب وهم : هود ، وصالح ، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد .

* وروى عكرمة عن ابن عباس قال : كل الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة : نوح ، وهود ، ولوط ، وصالح ، وشعيب ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، ويعقوب ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليهم . وليس لنبى من بني إسرائيل اسمان إلا عيسى : المسيح ، ويعقوب : إسرائيل [1] .

قال شيخنا ابن ناصر الحافظ : ولنبينا أسماء كثيرة ـ سنعرفها بعد ـ .

---

(١) فسيدنا يعقوب هو والد جميع بنى إسرائيل (وإسرائيل) معناها باللغة العبرانية : عبدالله .

وقال أبو هريرة : سيد الأنبياء خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وهو سيدهم .

قال شيخنا أبو منصور اللغوى : كل أسماء الأنبياء أعجمية إلا أربعة : آدم ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد .

* وقد قال كذلك فى (عيون التاريخ والسير) ، وتحت عنوان :

ذكر ترتيب كبار الأنبياء

كان من بعد آدم شيث عليه السلام ، وهو وصى آدم ، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة . قال محمد بن جرير : وإلى شيث تنتهى أنساب بنى آدم كلهم اليوم . وذلك أن نسل ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا فلم يبق منهم أحد .

ثم كان إدريس عليه السلام . قال أبو بكر بن أبى خيثمة : وكان من بعد إدريس نوح ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم إبراهيم ، ثم كان لقمان الحكيم (١) ، وكان موسى بن ميشاء (٢) .

---

(١) الخلاف جارٍ بين العلماء فى لقمان ويوشع وطالوت وأمصيا ، وذى القرنين : هل هم أنبياء أو لا ؟ والصحيح أنهم غير أنبياء (مروج الذهب للمسعودى) ، (أخبار الدول القرمانى)

(٢) موسى بن ميشاء بن يوسف

ثم من بعده موسى بن عمران ، ثم يوشع [1] بن كالب بن يؤقنًا ، ثم حزقيل [2] ، ثم إلياس ، ثم طالوت الملك ، ثم داود عليه السلام ، ثم سليمان ، ثم أيوب ، ثم يونس بن متى ، ثم شعيا ، ثم أمصيا ، ثم زكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وأرميا .

وكان ذو القرنين بين عيسى ومحمد فى الفترة .

قال المصنف : كذا ذكروا ، والصواب أن ذا القرنين كان فى زمن الخليل عليه السلام ، إلا أن يعنى به اليونانى [3]

* كما قال كذلك بعد ذلك فى : (عيون التاريخ والسير) تحت عنوان :

ذكر ما بين الأنبياء من السنين

* روى أبو صالح عن ابن عباس قال كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف ومائة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس

---

(١) يوشع بن نون بن كالب بن يؤقنا بن فارض بن يهوذا عليه السلام ... والصحيح أنه لم يكن نبيا .

(٢) حزقيل بن بوزى .

(٣) هناك فرق بين إسكندر ذى القرنين ، وإسكندر المقدونى ، فهذا غير ذاك .

وسبعون ، ومن موسى إلى داود خمسمائة وتسع وسبعون ، ومن داود إلى عيسى ألف وثلاث وخمسون ، ومن عيسى إلى محمد ستمائة سنة .

* وقال محمد بن إسحاق : من آدم إلى نوح ألف ومائتا سنة، ومن نوح إلى إبراهيم ألف ومائة وثنتان وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس وستون سنة ، ومن موسى إلى داود خمسمائة وتسع وستون ، ومن داود إلى عيسى ألف وثلاثمائة وست وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستمائة سنة .

* روى عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة .

قال ابن أبي خيثمة : مُذ خلق الله آدم إلى أن بُعث محمد خمسة آلاف سنة ، وثمانمائة سنة .

* وهذا كله - كما أشار في الهامش - رجم بالغيب ، ولا يؤيده الدليل ولاتقوم عليه حجة .

* ثم أشار بعد ذلك إلى ملاحظة هامة قد تشغل الكثيرين

منا ، ومن المتخصصين فى دراسة التاريخ بصفة خاصة ، فقال تحت عنوان :

ذكر مبدأ التاريخ وكيف كان

روى أبو بكر بن أبى خيثمة عن الشعبى والزهرى ، قالا : لما أُهبط آدم من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوط آدم ، فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً ، فأرخوا مبعث نوح حتى كان الغرق فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، فلما كثر ولد إسماعيل افترقوا ، فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى مبعث يوسف، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى ، ومن مبعث عيسى إلى أن بُعِثَ رسول الله ﷺ .

* وأرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم إلى بناء البيت ، ومن بنيان البيت حتى تفرقت مَعَدٌّ .

وكانت للعرب أيام وأعلام يعدُّونها ، ثم أرخوا من موت كعب ابن لؤى إلى عام الفيل ، وكان التاريخ من الفيل حتى أرَّخ عمر

ابن الخطاب من الهجرة ، وإنما أرخ عمر بعد سبع عشرة سنة من مهاجرة رسول الله ﷺ .

قال الشعبى : كتب أبو موسى إلى عمر : إنه يأتينا من قِبَلِكَ كُتُبٌ ليس لها تاريخ فأرِّخْ ، فاستشار عمر فى ذلك أصحابه ، فقال بعضهم : أرِّخ لمبعث رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم لوفاته ، فقال عمر : بل نؤرخ لِمُهَاجَرِ رسول الله ﷺ ، فإن مُهاجَرَته فرقت بين الحق والباطل ، فأرخ لذلك .

وقال سعيد بن المُسَيِّب : كتب التاريخ بمشورة على . قال المدائنى : واختلفوا بأى شهر يبدءون ، فقال عثمان : أرِّخُوا المحرم أول السنة :

* ثم قال بعد ذلك (ابن الجوزى) تحت عنوان :

مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول عام الفيل ، واختلفوا فيما مضى من ذلك لولادته ، على أربعة أقوال : أحدها : أنه وُلِدَ لِلَيْلتين خَلَتَا منه ، والثانى لثمانٍ

خَلَوْن منه ، والثالث : لعشر خلون منه ، والرابع : لاثنتى عشرة خلت منه، ومات أبوه عبدالله وهو ابن خمسٍ وعشرين سنة ورسول الله ﷺ حمل ، وقيل : لم يمت حتى أتى على رسول الله ﷺ شهران ، وقيل : سبعة أشهر ، وقيل : ثمانية وعشرون شهراً ، والأول أصح .

وخلف عبدالله أُمَّ أيمن ، وخمسة أجمال وقطعة غنم ، فورث ذلك رسول الله ﷺ، وكانت أم أيمن تحضنه .

* هذا ، وإذا كنت قد بدأت بتلك الأساسيات المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام .. فإننى أرى أن نبدأ الآن الإجابة عن بعض الأسئلة الهامة المتعلقة بهم والتى منها :

مَن هو الرسول ومَن هو النبى ؟

* الرسول شرعاً : (إنسانٌ حُرٌ من بنى آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه) .

* والنبى شرعا : إنسان حر من بين آدم أوحى الله إليه سواء أُمِرَ بالتبليغ أم لم يؤمر به .

ومن هم الرسُل عليهم الصلاة والسلام ؟

وما هى الأدلة النقلية والعقلية على ضرورة بعثتهم ؟

الرُّسل : جمع رسول .. وقد اختارهم الله من صفوة عباده ؛ ليكونوا واسطة بينه تعالى وبينهم فى تبليغ أحكامه ، كما فضلهم - سبحانه وتعالى على سائر مخلوقاته ، فقوى أرواحهم وعقولهم ، وطهر نفوسهم وقلوبهم ، وخصهم بمزيد الفطنة وقوة الرأى ،وعصمهم من المعاصى والدناءات ، وأيدهم بالمعجزات ، ولم يجعل لشواغل الدنيا سلطاناً عليهم .

وقد اصطفى الله رسله من الناس ، وأوحى إليهم بشرعه ، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة .. كما قال تعالى مشيراً إلى هذا فى قوله :﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (١) ، وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : من الآية : ١٦٥ .

(٢) طه : ١٣٤ .

ولهذا ـ كما عرفنا ـ تفضل الله على عباده ، فبعث إليهم رسلاً منهم ليرشدوهم إلى ما فيه سعادتهم فى معاشهم ومعادهم ، ويبينوا لهم ما يحتاجون إليه حتى تقوم بهم الحجة على العباد ، فتنقطع معاذيرهم وتعللاتهم وتبطل حججهم ومستنداتهم ..

هذا بالإضافة إلى حاجة الناس إلى قيادة حكيمة يخضع لها الخاص والعام .. فى حاجة إلى رسالة من قِبَلِ الله تعالى تضع لهم قواعد العدل التى بها يتم نظام العيش السليم فى هذه الحياة الأولى، وتحدد العلائق بين الأفراد والجماعات بحدود الإنصاف .. فى حاجة إلى من يخبرهم من قِبَلِ الله عن الحياة الأخرى وما فيها من ثواب يرغب فى الخير ، وعقاب يرهب من الشر ، حتى تنتظم علاقاتهم على العدل .. محتاجين إلى من يبين لهم عن الله ما كلفهم إياه من العقائد والعبادات ، والآداب والمعاملات ؛ تطهيراً لنفوسهم من دنس الشرك وعبادة الأوثان ، وتهذيباً لأخلاقهم ، ونَشْراً للعدل والسلم بين كافة الناس ..

وهذه القيادة الحكيمة كانت فى الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله تعالى بالبينات مبشرين ومنذرين كما

يشير الله سبحانه وتعالى إلى هذا فى قوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾(١) ، وقال : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (٢) وقد أشار صاحب كتاب (منهاج المسلم) إلى أهم الأدلة العقلية على ضرورة إرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فقال :

١- ربوبيته ورحمته تعالى ، تقتضيان إرسال رسل منه إلى خلقه ليعرفوهم بربهم ويرشدوهم إلى ما فيه كمالهم الإنسانى، وسعادتهم فى الحياتين الأولى والثانية .

٢- كونه تعالى خلق الخلق لعبادته ، إذ قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) ، فهذا يقتضى اصطفاء الرسل وإرسالهم ليعلموا العباد كيف يعبدونه تعالى ويطيعونه؛ إذ تلك هى المهمة التى خلقهم الله من أجلها .

٣- إن كون الثواب والعقاب مرتَّبين على آثار الطاعة والمعصية

(١) الحديد : من الآية : ٢٥ .

(٢) النحل : من الآية : ٣٦ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

فى النفس بالتطهير والقدسية أمر يقتضى إرسال الرسل ، وبعثة الأنبياء ؛ ولئلا يقول الناس يوم القيامة : إننا يارب لم نعرف وجه طاعتك حتى نطيعك ، ولم نعرف وجه معصيتك حتى نتجنبها ، ولا ظلم اليوم عندك ، فلا تعذبنا ، فتكون لهم الحجة على الله تعالى.. فكانت هذه حالا اقتضت بعثة الرسل ؛ ليقطع الحجة على الخلق ، قال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [1]، وقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [2].

* فكان من الضرورى إذن .. بل ومن الطبيعى أن يرسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين ، حتى يخرجوا الناس بنور هدايتهم من الظلمات إلى النور ، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم ؛ لأن الإنسان [3] مدنى بطبعه ، مضطر إلى الاجتماع بغيره ، ولابد له من قوانين تنظم اجتماعه بغيره ، وتكفل سلامته ، والقانون الوضعى أعجز من أن يحقق هذه الغاية أو يدنو منها ؛ لأن العقول

(١) النساء : ١٦٥ .

(٢) الإسراء : من الآية : ١٥ .

(٣) كما جاء فى كتاب (البحوث الدينية ـ التوحيد) دار المعارف .

البشرية التى تضعه قاصرة معرضة للجهل والخطأ والنسيان . وكثيراً مايتأثر وضعها بتغير الأزمنة والبيئات ، فما يصلح لشعب لا يصلح لغيره ، وما يجدى فى عصر لا يُجدى فى سواه .

ولا سبيل لتلافى هذا النقص إلا بقانون من لدن حكيم خبير، سليم من الخطأ ، بعيد عن القصور ، صالح لكل أمة فى كل زمان ومكان ...

من هذا كله تعلم حاجة البشر إلى الرسالات وهدى السماء ، ولا يمكن أن يأتى الله بنفسه إلى الناس ؛ لأن ذلك منافٍ لمقام الربوبية ، وليس من الجائز أن يوحى إلى كل فرد من الأفراد على حدة ، ويصبح كُلٌّ نبيّاً ، أو يخلق الهداية فى كل قلبٍ خَلْقا ؛ لأن ذلك مناقض للحكمة فى أن يكون الناس مراتب مختلفة إيماناً وكفراً وطاعة وعصياناً بحسب اختيارهم ، وما يرتضون لأنفسهم من أوضاع . ولايمكن أن يبعث ملكاً للتنافر بين حقيقة الملك وحقيقة الإنسان تنافراً يقع به العذر فى الإعراض والتكذيب ، ولو تمثل المَلَك فى صورة إنسان لفاتت الفائدة من كونه ملكاً ، قال

تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا .. ﴾ (١)

وإذَنْ فلم يبق إلا أن يرسل الله رسولا من البشر إلى كل أمة ، يختاره ، ويصفى روحه ، ويسمو بقواه سموا يستطيع به أن يكون واسطة بين السماء والأرض ...

نعم لقد اختار الله رسله من صفوة عباده ؛ ليكونوا واسطة بينه تعالى وبين عباده فى تبليغ أحكامه ، وفضلهم على سائر المخلوقات، فقوى أرواحهم وعقولهم ، وطهر نفوسهم وقلوبهم ، وخصهم بمزيد من الفطنة وقوة الرأى ، وعصمهم من المعاصى والدناءات وأيدهم بالمعجزات ، ولم يجعل لشواغل الدنيا سلطاناً عليهم .

* وقد أرسل الله رسلاً كثيرين للهداية والإرشاد ، منهم من كانت رسالته خاصة ومقصورة على بعض البشر وعلى بعض الأزمنة والأمكنة كغالب الرسل ، فكان الواحد منهم يرسل إلى قرية أو قبيلة أو شعب ، ومنهم كانت رسالته عامة كسيدنا محمد ﷺ فإن رسالته عمت الإنس والجن والزمان والمكان فى حال حياته وبعد وفاته إلى يوم القيامة .

---

(١) الأنعام : من الآية : ٩ .

* وحول موضوع :

عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وختمها للرسالات

يقول فضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكى [1] ، ما نصُّه :
كان من رحمة الله بجميع الأمم أن بعث إليهم سيدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه لهدايتهم وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدارين ، بعثه لتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق ، ورفع منار العدل بين كافة الناس ، بعثه ليقتلع من النفوس فاسد العقائد ورذيل الأخلاق ، وذميم العادات ، ويغرس فيها صحيح العقائد ، وصالح العادات ، ومكارم الأخلاق ... بعثه بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ... أرسله بدين صالح لكل زمان ومكان ، وجعله خاتماً للنبيين والمرسلين ، وجعل شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع و رسالته عامة لجميع الإنس والجن إلى يوم القيامة ، فيجب على المكلف أن يؤمن بأن محمداً رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين ومرسل إلى الإنس والجن أجمعين إلى يوم القيامة .. ثم يقول تحت عنوان :

---

(١) فى مذكرات التوحيد .

الدليل العقلى على رسالة سيدنا محمد ﷺ

أنه ادعى الرسالة ، وأظهر الله على يديه كثيراً من المعجزات ـ التى أعظمها القرآن الكريم ـ تصديقاً لدعواه .. وكل من ادعى الرسالة ، وأيده الله بالمعجزات يكون رسول الله حقا .

أما دعواه الرسالة فمتواترة تواتراً ألحقها بالمشاهدة ، فلا سبيل إلى إنكارها ، وأما ظهور المعجزات على يديه فقد تواتر أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أتى بخوارق العادات وتحدى بها قومه ، فعجزوا عن معارضتها والإتيان بمثلها .

وقد أشار صاحب كتاب (منهاج المسلم) إلى الأدلة النقلية والعقلية على عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وختمها للرسالات فقال ، تحت عنوان :

الإيمان برسالة محمد ﷺ

يؤمن المسلم بأن النبى الأمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام هو عبد الله ورسوله أرسله إلى كافة

الناس أحمرهم وأبيضهم ، وختم بنبوته النبوات ، وبرسالته الرسالات، فلا نبي بعده ولا رسول ، أيده بالمعجزات ، وفضله على سائر الأنبياء ، كما فضل أمته على سائر الأمم ، فرض محبته وأوجب طاعته ،وألزم متابعته ، وخصه بخصائص لم تكن لأحد سواه ، منها : الوسيلة ، والكوثر ،والحوض ، والمقام المحمود ، وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية :

١ـ شهادته تعالى وشهادة ملائكته له عليه السلام بالوحي في قوله تعالى : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [(١)].

٢ـ إخباره تعالى عن عموم رسالته ، وختم نبوته ، ووجوب طاعته ومحبته ، وكونه خاتم النبيين في قوله جلت قدرته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ .. ﴾ [(٢)]. وفي قوله : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ

---

(١) النساء ، الآية : ١٦٦ .

(٢) النساء ، من الآية : ١٧٠ .

بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ... ﴾[1] . وفي قوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] . وفي قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3] . وفي قوله تبارك وتعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[4] . وفي قوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[5] . وفي قوله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ .. ﴾[6] .وفي قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[7] . وفي قوله : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[8] . وقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

---

(1) المائدة : من الآية : ١٩ .

(2) الأنبياء : ١٠٧ .

(3) الجمعة : ٢ .

(4) الفتح : من الآية : ٢٩ .

(5) الفرقان : ١ .

(6) الأحزاب : من الآية : ٤٠ .

(7) القمر : ١ .

(8) الكوثر : ١ .

فترضى ﴾[1] . وقوله :﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[2].

وقوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ..﴾[3]. وقوله : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره..﴾[4].وفي قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس .. ﴾ [5]. وقوله :﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .. ﴾ [6].وقوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.. ﴾ [7].

٣-إخباره ﷺ عن نبوته وختم النبوات بها ، وعن وجوب

---

(١) الضحى : ٥ .

(٢) الإسراء : من الآية : ٧٩ .

(٣) النساء : من الآية : ٥٩ .

(٤) التوبة : من الآية : ٢٤ .

(٥) آل عمران : من الآية : ١١٠ .

(٦) البقرة : من الآية : ١٤٣ .

(٧) آل عمران : من الآية : ٣١ .

طاعته وعموم رسالته فى قوله ﷺ « أنا النبى لا كـذب . أنا ابن عبد المطلب »[1]. وفى قوله : « إنى عبدالله وخاتم النبيين وإن آدم لمجندل فى طينته »[2]. وفى قوله : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كـمـثل رجل بنى بيـتاً فـأحـسنه وأجـمله إلا مـوضع لبنة واحدة. فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلاَّ وُضِعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[3]. وفى قوله: « والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[4]. وقوله : « كلكم يدخل الجنة إلا مَن أبى، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومَن عصانى فقد أبى »[5]. وفى قوله : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولانبى »[6].وفى قوله : « فُضِّلتُ على الأنبياء بسِت : أعطيت جوامعَ الكلم ،

(١) فى الصحيحين .
(٢) البخارى فى التاريخ ، وأحمد وابن حبان وصححه .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه أحمد والترمذى وصححه .

ونُصـــرتُ بالرعب ، وأُحلَّتْ لى الغنائم ، وجُعلت لى الأرض مـــســجــداً وطهــوراً ، وأُرْسِلتُ إلى الخلق كـافــة ، وخُتم بى النبيون»[1] . وفى قوله : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصى أميرى فقد عصانى » [2] . وقـوله : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى » [3] . وقوله : « إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام الأنبياء ، وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولافخر » [4] . وقوله عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأول شافع وأول مشفع » [5] .

٤ - شهادة التوراة والإنجيل ببعثته ﷺ وبرسالته ونبوته، وتبشير كلٌ من موسى وعيسى به ﷺ .. قال تعالى فيما حكاه

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الدارقطنى وله طرق تجعله حسنا .

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٥) رواه مسلم .

عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (١) . وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾(٢)

وجاء فى التوراة : « **سوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأجعل كلامى فى فيه** (٣) **، ويكلمهم بكل شىء آمر به ، ومن لم يُطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك**»

فهذه البشارة الثابتة فى التوراة اليوم تشهد بنبوة نبينا ﷺ ورسالته ووجوب اتباعه ولزوم طاعته ، وهى حجة على اليهود ، وإن تأولوها وجحدوها ، فقوله تعالى : « **سوف أقيم لهم نبيا** » يشهد بلا شك لنبوته ورسالته ﷺ إذْ المخاطب هنا هو موسى عليه السلام وهو

(١) الصف : من الآية : ٦ .

(٢) الأعراف : من الآية : ١٥٧ .

(٣) أى فى فمه .

نبى ورسول ، ومن كان مثله فهو نبى ورسول ، وقوله : « **من بين إخوانهم** » صريح فى أنه محمد ﷺ ، وقوله : « **وأجعل كلامى فى فيه** » لا ينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ ؛ لأنه هو الذى يقرأ كلام الله و يحفظه ، وهو القرآن الكريم ، وقوله : « **ويكلمهم بكل شىء** » شاهد كذلك ، إذ النبى تكلم بغيب لم يتكلم به نبى سواه ، إذ أخبر ببعض ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

وجاء فى التوراة كذلك ما نصه : « **يا أيها النبى إنا أرسلناك مبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسُولى ، سميتُك المتوكل ، ليس بفَظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لاإله إلا الله ، فيفتح به أعينا عُمْياً ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفاً** » . وجاء فيها أيضاً : « **هم أغارونى بغير الله ، وأغضبونى بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم** »

فقوله : « **وبشعب جاهل** » صريح فى أنه الشعب العربى ، إذ هو الشعب الجاهل قبل بعثته ﷺ ، حتى إن اليهود كانوا يسمون

العرب بالأُمِّيِّينَ ، كما جاء فيها كذلك قوله : « **فلا يزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من فخذه حتى يجيء الذى له الكل وإياه تنتظر الأمم** » فمن ذا الذى انتظرته الأمم سوى نبينا محمد ﷺ ، ولا سيما اليهود ، فقد كانوا أكثر الناس انتظاراً له ، باعترافاتهم الصريحة ، ولكن الحسد هو الذى حرمهم الإيمان به واتباعه ﷺ. قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (1). كما جاء فى الإنجيل البشارات التالية :

١ – فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهود قائلاً : « **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » .

فقوله : قد اقترب ملكوت السموات إشارة إلى محمد ﷺ، كما كانت بشارة بقرب بعثته ، إذ هو الذى ملك وحكم بقانون السماء .

٢ – قدم لهم مثلاً آخر قائلاً : « **يشبه ملكوت السموات**

---

(١) البقرة : من الآية : ٨٩ .

حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت فهى أكبر البقول » فهذه العبارة فى الإنجيل هى عين ما ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم ، إذ قال : ﴿ .. وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ .. ﴾[1] . المراد من ذلك محمد ﷺ وأصحابه .

٣- « انطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم (البار قليط)[2] فأما إن انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا ج اء ذاك يوبخ العالم على خطيئته » . أليست هذه الجملة من الإنجيل صريحة فى التبشير بمحمد ﷺ ، ومن هو (البار قليط) إن لم يكن محمداً؟ ومن هو الذى وبّخ العالم على خطيئته سواه ؟ إذ هو الذى بُعث والعالم يسبح فى بحور الفساد والشرور ، والوثنية ضاربة أطنابها حتى فى أهل الكتاب . ومن هو الذى جاء بعد رفع عيسى يدعو إلى الله رب السموات والأرض غير محمد ﷺ ؟

---

(١) الفتح : من الآية : ٢٩ .

(٢) ترجمتها من اليونانية إلى العربية : بالذى له حمد كثير ، وهو يوافق معنى (محمد) أو أحمد .

* * وأما عن :

الأدلة العقلية

فقد قال كذلك ، مانصه [1] :

١- ما المانع من أن يرسل الله محمداً رسولاً ، وقد أرسل قبله مئات المرسلين ونبّأ آلاف الأنبياء ؟ .

وإذا كان لا مانع من ذلك عقلاً ولا شرعاً ، فبأى وجه ننكر رسالته ونكفر نبوته ﷺ إلى عموم الناس ؟ .

٢- الظروف التى اكتنفت بعثته عليه الصلاة والسلام كانت تتطلب رسالة سماوية ، ورسولاً يُجدد للبشرية عهد معرفتها بخالقها عز وجل .

٣- انتشار الإسلام بسرعة فى أنحاء العالم ، وأقطار شتى فى أنحاء المعمورة ، وقبول الناس له وإيثاره على غيره من الأديان ، دليل على صدق نبوته ﷺ .

٤- صحة المبادئ التى جاء بها ﷺ وصدقها وصلاحيتها

---

(١) مع بعض الإضافات فى موضوع المعجزات ..

وظهور نتائجها طيبة مباركة تشهد أنها من عند الله ، وأن صاحبها رسول الله ونبيه .

٥- ما ظهر على يديه من المعجزات والخوارق التى يستحيل ـ أى لا يصدق العقل ـ صدورها على يد غير نبى ورسول .

وهذا طرف من تلك المعجزات ، كما هى ثابتة فى الحديث الصحيح الأشبه بالمتواتر الذى لا يكذبه إلا ضعيف العقل أوفاقده :

١ - انشقاق القمر له ﷺ ، فقد طلب الوليد بن المغيرة وغيره من كفار قريش آية ـ معجزة ـ منه عليه الصلاة والسلام تدل على صدقه فى دعوى النبوة والرسالة ، فانشق له القمر فرقتين : فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام : اشهدوا، قال بعضهم : رأيت القمر بين فرجتى الجبل ـ جبل أبى قبيس ـ وقد سألت قريش أهل بلاد أخرى ، هل شاهدوا انشقاق القمر ؟ فأخبروا به كما رأوه ، ونزل قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ... ﴾ (١) .

---

(١) سورة القمر : ١ ـ ٣ .

٢ – أصيبت عين قتادة يوم (أحد) حتى وقعت على وجنته فردها الرسول ﷺ ، فكانت أحسن منها قبل .

٣ – رمدت عينا على بن أبى طالب عليه السلام يوم (خيبر) فنفث فيهما رسول الله ﷺ فبرئتا كأن لم يكن شيء أبداً .

٤ – انكسرت ساق ابن الحكم يوم (بدر) فنفث عليها ﷺ فبرئ لوقته ولم يحصل له ألم قط .

٥ – نُطقُ الشجر له عليه الصلاة والسلام ، فقد دنا منه أعرابى، فقال له : يا أعرابى أين تريد ؟ قال : إلى أهلى . قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فقال الأعرابى : من يشهد لك على ما تقول ؟ فقال له ﷺ : هذه الشجرة ـ يُشير إلى شجرة بشاطئ الوادى ـ فأقبلت تَخُدُّ الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا فشهِدتْ كما قال عليه الصلاة والسلام .

٦ – حنين جذع النخلة له ﷺ وبكاؤه بصوت سمعه من فى مسجده ﷺ قاطبة ، وذلك لما فارقه ﷺ بعد ما كان يخطب عليه كمنبر له ، ولما صُنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حنيناً وشوقًا

إليه ﷺ ، فقد سمع له صوت كصوت العشار [1] ولم يسكت حتى جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووضع يده الشريفة عليه فسكت .

٧ـ دعاؤه صلى الله عليه وسلم على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق .

٨ـ دعاؤه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه في الدين، فكان عبدالله بن عباس حَبْرَ هذه الأمة .

٩- تكثير الطعام بدعائه ﷺ ، فقد أكل من مُدَّي [2] شعير فقط أكثر من ثمانين رجلاً .

١٠- تكثير الماء بدعائه ﷺ ، فقد عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله عليه أزكى السلام بين يديه ركوة ماء يتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا إلا مافي ركوتك ، فوضع ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال

---

(١) العشار : النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(٢) المد : حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين ويساوي قدحا وثلث قدح أو قدحين، والمدان نصف صاع .

العيون ، فشرب القوم وتوضئوا ، وكانوا ألفا وخمسمائة نفر .

١١- الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السموات العلا .. إلى سدرة المنتهى .. ثم عاد إلى فراشه ولم يبرد.

* وقد ثبت بالقرآن والأحاديث وإجماع المسلمين [١] أن نبينا محمداً أُسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالشام ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ [٢]. وروى أنه كان راكباً البراق ومعه جبريل وميكائيل عليهم السلام .

كما ثبت بالأحاديث وإجماع الجمهور أنه عليه السلام عرج به ليلة الإسراء من بيت المقدس إلى السموات فما فوقها ، وهناك فرضت عليه وعلى أمته الصلوات ، ورجع من ليلته إلى مكة ، وأحاديث الإسراء والمعراج مذكورة فى كتب السنة النبوية الصحيحة.

---

(١) كما جاء فى مذكرات التوحيد للأستاذ حسين عبد الرحيم مكى أكرمه الله ...

(٢) الإسراء ـ من الآية : ١ .

فيجب الإيمان بالإسراء والمعراج ، ومنكر الإسراء كافر لإنكاره أمرًا ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومنكر المعراج مبتدع لمخالفته الجمهور ولإنكاره أمرًا ثبت بالأحاديث المشهورة .

* وأما عن :

المعجزة الخالدة وهى القرآن الكريم

فبيان ذلك : أن القرآن الكريم هو أعظم المعجزات وأشهرها ، وأقوى الأدلة على صدق نبينا محمد ﷺ فى دعوى الرسالة ؛ لأنه عليه السلام تحدى به العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن معارضته والإتيان بمثل شىء منه ، فيكون معجزًا ودالاً على أن محمدًا رسول الله حقًا .

أما أن النبى تحدى به العرب فقد تواتر هذا تواترًا لا سبيل إلى إنكاره ، وآى التحدى فى القرآن كثيرة ، وأما أنهم عجزوا عن معارضة القرآن فلأنهم لوقدروا على المعارضة لعارضوا ولوعارضوا لاشتهرت معارضتهم ونقلت إلينا .. لكنها لم تنقل ، فلم يعارضوا وثبت عجزهم .

وقد سلك النبى فى تحدى العرب بالقرآن طريق التدلى ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل عشر سور منه فعجزوا ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ورجعوا خائبين .

أليس فى ظهور القرآن على لسان أُمىٍّ أعظم معجزة وأدل برهان على أنه ليس من قول البشر ، وإنما هو وضع إلٰهى وروحى سماوى والمبعوث به نبى .

ثم يقول بعد ذلك فى مذكرات التوحيد [١] تحت عنوان :

بيان أن القرآن معجزة خالدة

القرآن الكريم معجزة خالدة ، ولا يمكن لمخلوق فى كل زمان ومكان أن يأتى بمثل شىء منه ، فهو دائم الإعجاز لجميع المخلوقات، يدل على هذا أمران :

(**الأول**) أن القرآن نزل فى عصر اتفقت الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى العصور عند العرب وأغزرها مادة فى الفصاحة

---

(١) بتصرف .

والبلاغة ، وقد حاول العرب أن يأتوا بمثل شيء منه فعجزوا ، وإذا عجز العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة كان غيرهم أشد عجزاً .

(والثاني) قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [١] . فإنه يدل على عجز جميع المخلوقات عن معارضة القرآن .

كما يقول تحت عنوان :

بيان جهة إعجاز القرآن

الجهات التى من أجلها كان القرآن معجزاً كثيرة :

منها : أنه اشتمل على الفصاحة والبلاغة ، ووصل فيهما إلى الحد الخارج عن طوق البشر ، وإلى الدرجة العليا التى لم تعهد فى تراكيب العرب وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم . حتى إنهم كانوا يطربون لسماعه .

ومنها : أنه أخبر بمغيبات ماضية ومستقبلة ، وفيه من أخبار

---

(١) الإسراء : ٨٨

الغيب ما صدقته حوادث الكون .

ومنها : أنه شرع للناس أحكامًا تنطبق على مصالحهم ، فقد ظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل وانتظم بها شمل الجماعة ، وعظمت المضرة فى إهمالها والانحراف عنها ، وفيه من الحكم والمواعظ والآداب ما تخشع له القلوب وتنصرف وراءه الهمم .

** ولهذا ، (فنحن نبغى القرآن) ؛ لأنه كما يقول الشاعر الهراوى تحت هذا العنوان الأسبق [1] :

إن هذا القرآن يهدى إلى الرشـ

ـد ويدعو لصالح الإنسان

نحن نبغي القرآن علمًا وفَهمًا

يخلقان الكمال فى الشبان

نحن نبغي القرآن لفظًا ومعنًى

فَهْوَ صَقْلُ الحِجَا وصَقْلُ اللسان

(١) كما قرأت فى كتاب (مع الله) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

نحـــن نبـــغى القـــرآن دينًـــا ودنيا

يتجـــلّى في هـــديه الحُسْنَيَـــانِ

نحن نبغى القرآن فى معهد الدر

س وفى كل مـــنزل ومـــكان

* ولأنه كما يقول شاعر آخر فى وصف بلاغته :

الذكـــر آيـــة ربك الكبـــرى التى

فيهـــا لبـــاغى المعـــجزات فنـــاء

صَـــدرُ البيان له إذا التقـــت اللُّغَى

وتقـــدم البلغـــاء والفصـــحـــاءُ

نُســِـخَت به التـــوراة وَهْيَ وضيئة

وتخـــلف الإنجـــيل وَهْـــوَ ذُكَاءُ

لما تَمـــشَّى فى الحجـــاز حَـــكيمُه

قَضَّـــتْ عـــكاظ به وقام حِراءُ

* * وإذا كان أحد الشعراء الحكماء يقول :

شـهد الأنام بفضـله حـتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

فإننى أرى أن أسوق إليك ـ أخا الإسلام ـ بعض أقوال غير المسلمين الذين شهدوا بعظمة هذا القرآن الذى سيظل معجزاً للجن والإنس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

فلقد قال العلامة[1] (**دروى**) وزير معارف فرنسا سابقاً :

(بينما أهل أوربًا تائهون فى بيداء الجهالة لا يرون الضوء إلا من سَمِّ الْخِيَاط ، إذ سطع نور قوى من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب ، وفلسفة وصناعات ، وأعمال يد ، وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة معارف ، ومنها انتشر فى الأمم ، واغتنم منها أهل أوربا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون علمية ، وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع الإسلام) .

---

(١) كما قرأت فى كتاب (التربية فى كتاب الله) لفضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد .

وقال المؤرخ الإنجليزى الشهير (**ولزآن**) : « إن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنّى سارت هى الديانة الإسلامية ، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئًا من هذا فليقرأ القرآن ومافيه من نظريات علمية ، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمى دينى ، عملى اجتماعى ، تهذيبى خلقى تاريخى ، وأكثر أنظمته وقوانينه تستعمل حتى فى وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة » .

وذكر الفيلسوف (**تولستوى**) الروسى فى كتابه : (حكم النبى محمد) :

« ولما وَحَّدَ النبى محمد قبائل العرب ، وأنار أفكارهم وأبصارهم بمعرفة الإلـٰه الواحد ، هذب أخلاقهم ولين طباعهم وقلوبهم ، وأصلح عاداتهم البربرية الهمجية ، وجعلهم أمة مستعدة للرقى والتقدم » .

ولهذا قال عربى أصيل غيور بعد أن قرأ هذا وغيره من تلك الحقائق الواضحة وضوح الشمس فى وضح النهار :

يابـن العروبة سـر فأنت الأسبق

بطريق مجـدك فالنجاح محقـق

هـذا هـو القرآن نبراس الهدى

دستورك الأسمى المنيـر المشـرق

آياتـه نبـع العلـوم جـميعهـا

من قال : لا ، فهو الغبى الأخرق

عِلْم الطبيعة والحياة وحكمة الـ

إيجـاد مـن تبيـانـه تتـدفـق

وسـياسـة الدنيـا بأقـوم شرعة

بيـن الـورى بسـواه لا تَتَحقَّـقُ

فـيه القضـاء لحـل كل قضـية

عن حلها أهل السياسـة أخفقوا

عـودوا إلى القرآن عودة باحث

ترك الهـوى والعقـل حـر مطلق

وخــذوا دساتير الحياة جميعها

مــن آيه وعــلى الخليقــة أشفِقوا

فهــو الدواء لكل أدواء الورى

وهو الطبيب لكل سقم ، صَدِّقُوا

فالغــرب لما ســار ســار بنوره

وعلا وقبل الغــرب سار المشرق

يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم

فهــو الكتاب العــالمى الأصــدق

* * هذا ، وإذا كان موضوعنا فى هذا الكتاب حول : إرسال الرسل والواجب والمستحيل والجائز فى حقهم : فإننى أرى كذلك إتماما للفائدة أن أذكر أساساً لابد منه ، وهو :

مذاهب العلماء فى حكم إرسال الرسل

فللعلماء فى حكم إرسال الرسل أربعة مذاهب : [1]

---

(١) كما جاء فى (تهذيب شرح الخريدة - فى علم التوحيد) . بتصرف يسير .

١- مذهب الفلاسفة : فقد ذهبوا إلى القول بوجوب إرسال الرسل ؛ لأنهم يرون أن الله علة فى وجود العالم ، والعالم علة فى وجود مَن يصلحه وهم الرسل .

٢- مذهب المعتزلة : فقد ذهبوا إلى القول بوجوب إرسال الرسل ؛ لأنهم يرون وجوب الصلاح عليه تعالى والأصلح فى حق عباده أن يرسل إليهم الرسل لينبهوهم على ما ينجيهم من المهالك وما يوقعهم فيها .

٣- مذهب السمنية والبراهمة : ذهب الفريقان إلى القول باستحالة إرسال الرسل ؛ لأنه عبث لكون العقل كافيًا عنه ، فالعقل فى نظرهم يستقل بإدراك ما فى الأشياء من حسن وقبح .

٤- مذهب أهل السنة : فقد ذهبوا إلى القول بجواز إرسال الرسل ؛ لأنه فِعْلٌ من أفعال الله تعالى ، وجميع أفعاله تعالى صادرة منه عن اختيار ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[1]، والمختار هو مذهب أهل السنة ؛ لأنه الحق وما عداه باطل .

---

(١) القصص – من الآية : ٦٨ .

وقد رد أهل السنة على القائلين بالوجوب (وهم الفلاسفة والمعتزلة) : بأنه يلزم على مذهبهما سلب الاختيار عن الله تعالى .. كيف وقد ثبت عقلاً ونقلاً أنه الفاعل المختار ؟!

وردُّوا على القائلين بالاستحالة بأن العقل إذا خلا ونفسه قد يغفل عن أكثر الأحوال المناسبة له فى معاشه ، فكيف بدقائق الشرائع والسمعيات التى لا تتلقى إلا من الصادقين وهم الرسل .

وإلى مذهب أهل السنة والرد على المخالفين أشار صاحب الخريدة بقوله :

إرسالهم تفضل ورحمهْ   للعالمين جَلَّ مُولى النعمهْ

فمعنى البيت : أن إرسال الرسل تفضل وإحسان من الله تعالى ورحمة منه للعالمين ، وليس بواجب عليه ولا بمستحيل (جلَّ مولى النعمة) أى عظم معطى النعمة التى من أجلِّها إرسال الرسل إلينا ، فله الحمد والمنة .

* * هذا ، مع ملاحظة : أنه لا يجوز حصر الرسل والأنبياء فى عدد ؛ لأن بيان عددهم لا يُعْلَمُ إلا من الشرع ، ولم يرد فى

بيان عددهم دليل قاطع من كتاب أو سنة ،ولأن حصرهم فى عدد قد يؤدى إلى أن يُعتبَر فيهم من ليس منهم فى الواقع أو يخرج عنهم من هو منهم فى الواقع ، ولقوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(١) .

حكم الإيمان بالرسل والأنبياء

الإيمان بالرسل والأنبياء ركن من أركان الإيمان ، ومَن أخل به يكفر ، لقوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ .. ﴾ (٢) .

وقوله عليه السلام : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** » (٣) .

فيجب الإيمان إجمالاً بأن الله بعث رسلاً وأنبياء كثيرين للهداية والإرشاد مع تفويض علم عددهم إلى الله ، ويجب الإيمان

(١) غافر ـ من الآية : ٧٨ .

(٢) البقرة ـ من الآية : ٢٨٥ .

(٣) بعض حديث صحيح .

تفصيلاً بمن ذكروا فى القرآن الكريم تفصيلاً ، وهم خمسة وعشرون نبيا ورسولا : سيدنا محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى، ونوح ، وآدم ، وإدريس ، وهود ، وشعيب ،وصالح ، وذوالكفل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، ويوسف ، وهارون ، وزكريا ، ويحيى ، وإلياس ، وإسماعيل ، واليسع ، ويونس ، ولوط عليهم السلام ، فمنكر بعضهم كافر .

وأولو العزم من الرسل خمسة : سيدنا محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح ، عليهم السلام .

والعزم : أى الصبر وتحمل المشاق .. وقد اشتهر هؤلاء الخمسة بأولى العزم لأنهم صبروا على أذى قومهم ، وتحملوا المشاق أكثر من غيرهم من بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام .

* وقد قال أحدهم نظماً جمع فيه جميع الأنبياء والمرسلين المذكورين فى القرآن الكريم فقال :

حتماً على كل ذى التكليف معرفة

بأنبياء على التفصيل قد عُلموا

في تـلك حجتنـا منهـم ثمانيـة

من بعد عشر ، ويبقى سبعة وهمو

إدريس ، هود ، شعيبٌ ، صالح ، وكذا

ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد خُتِموا

ويعني بقوله : (في تلك حجتنا) قول الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام آيات (٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦) :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * وأفضل الخلق بعد نبينا (محمد ﷺ) (١) : سيدنا إبراهيم ، ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ، ثم سيدنا نوح ، ثم آدم

---

(١) كما جاء في الجزء الأول من الدين الخالص .

أبو البشر ، ثم باقى الرسل على تفاضل بينهم ، ثم سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رؤساء الملائكة : كجبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم رؤساء الأمة المحمدية : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على . ثم باقى العشرة – أى المبشرين بالجنة (١)وهم طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، عليهم جميعا رضوان الله _ ثم أهل بدر ، ثم أهل أُحُد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم عامة الملائكة ...

ثم يشير بعد ذلك ، إلى :

المعجزات التى أيد الله بها كل رسول من رسله

فقال (٢) : وقد أيد الله تعالى كل رسول منهم بمعجزات خارقة للعادة ـ وهى بمثابة تصديق من الله تعالى لمن أظهر الله المعجزة على يديه ، وكأنه يقول صدق عبدى فى كل ما يبلغه

(١) أى بالإضافة إلى الخلفاء الراشدين الأربعة .

(٢) بتصرف وإضافات موضوعية .

عنى ؛ إذ من المحال أن يؤيد الله تعالى الكاذب ؛ فإن تأييد الكاذب تصديق له وتصديق الكاذب كذب ، والكذب على الله محال ـ :

* ومن المعجزات : ناقة سيدنا صالح ، ففى الحديث : «يبعث الله ناقة صالح فيشرب من لبنها هو ومن آمن به من قومه ، ولى حوض كما بين عدن إلى عمان ، أَكْوَابُهُ عدد نجوم السماء ، فيستسقى الأنبياء ، ويبعث الله صالحاً على ناقة . قيل يا رسول الله: وأنت على العضباء ؟ قال : أنا أُبعث على البراق يخصنى الله به من بين الأنبياء ، وفاطمة ابنتى على العضباء ، ويؤتى بلال بناقة من نوق الجنة فيركبها ، وينادى بالأذان ، فيصدقه من سمعه من المؤمنين حتى يوافى المحشر ، ويؤتى بلال بحلتين من حلل الجنة ، فيُكْسَاهما ، فأول من يُكْسَى من المؤذنين بلال وصالحو المؤمنين » . أخرجه أبونعيم فى الحلية ، وابن عساكر عن عبدالله بن بريدة عن أبيه .

* ونار سيدنا إبراهيم : التى ألقوه فيها بعد أن مكثوا مدة يجمعون الحطب من هنا وهناك .. وقد جعلوا ذلك قرباناً لآلهتهم ، وبِراً بمعبوداتهم ، حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت نذرت : إذا

عوفيت لتجمعن حطباً لحريق إبراهيم ... وبعد أن تراكمت أعواد الحطب وضاق المكان بأكوامه .. ابتنوا حظيرة واسعة ، وأشعلوا النار فيها .. فلما اندلع لسانها ، وعلا لهيبها ، واحمر جمرها ـ قيدوه ، ورموا به فيها ، وهم له كارهون ، ولعذابه مغتبطون ! فنجاه الله تعالى من النار التى كانت برداً وسلاماً عليه !

قال ابن عباس رضى الله عنهما : حسبى الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : « إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ » [1] .

وعن على فى قوله تعالى ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾[2]. قال : لولا أنه قال : (وسلاماً) لقتله بردها .

وعن ابن عباس موقوفاً : « آخر ما تكلم به إبراهيم حين ألقى فى النار : حسبى الله ونعم الوكيل . »

* وعصا سيدنا موسى ، ويده البيضاء ، وفلق البحر ، وتفجير الماء من الحجر: فقد أوحى الله إليه ـ بعد أن قال له قومه : ﴿ إِنَّا

---

(١) أخرجه البخارى . والآية فى سورة آل عمران : ١٧٣

(٢) الأنبياء ـ من الآية : ٦٩ .

لَمُدْرَكُونَ ﴾ فقال : ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ (١) .

وأيضاً يقول الله تعالى مشيراً إلى معجزة العصا : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٤) .

* وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لسيدنا عيسى :

---

(١) الشعراء : ٦٢ ـ ٦٦ .

(٢) البقرة ـ من الآية : ٦٠ .

(٣) الأعراف : ١٠٧ و ١٠٨ .

(٤) الأعراف ١١٧ .

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) .

* وانشقاق القمر لسيدنا محمد ، ونبع الماء من يده الشريفة ، وتكثير القليل من الطعام والشراب ، وتكليم الجمادات له صلوات الله وسلامه عليه :

قال تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاه العصر . فالتمس الناس الوَضُوء (٣) فلم يجدوه ، فأُتِىَ ﷺ بوضوء فوضع يده فيه وأمر الناس أن يتوضئوا ، فرأيت الماء

(١) آل عمران : الآيتان ٤٨ و ٤٩ .
(٢) سورة القمر : ١ .
(٣) الوضوء بفتح الواو : أى الماء الذى يُتوضأ به ...

ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس عن آخرهم »

أخرجه الشيخان .

* وعن زياد بن نُعيم الحضرمى قال :

« سمعت زياد بن الحارث الصُّدَائى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته على الإسلام » (الحديث)

وفيه : « فلما كان أوان أذان الصبح أمرنى فأذنت . ثم قال : هل من ماء يا أخا صُداء ؟ فقلت : لا إلاشيء قليل لايكفيك . فقال النبى ﷺ : اجعله فى إناء ثم ائتنى به ، ففعلت ، فوضع كفه فى الماء . فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور . فقال ﷺ : ناد فى أصحابى من له حاجه فى الماء ، فناديت فيهم، فأخذ من أراد منهم . ثم قال الصُّدائى : قلنا : يانبى الله ، إن لنابئراً إذا كان الشتاء وَسِعنا ماؤه واجتمعنا . وإذا كان الصيف قل ماؤها وتفرقنا على مياه حَولنا ، وقد أسلمنا وكل من حولنا عدوٌّ لنا ، فادع الله لنا فى بئرنا أن يسعنا ماؤها فنجتمع عليها، لا نتفرق ، فدعا بسبع حصيات ففركهن فى يده ودعا فيهن ، ثم قال : اذهبوا

بهذه الحصيات ، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى . قال الصُّدائى : ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها . يعنى البئر . »

أخرجه المزى فى الأطراف .

* وعن جابر رضى الله عنه قال :

« عطش الناس يوم الحديبية فأتوا رسول الله ﷺ وبين يديه ركوة [1] ، وقالوا : ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركوتك ، فوضع صلى الله عليه وآله وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأ مثال العيون ، فتوضأنا وشربنا . قيل لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . »

أخرجه الشيخان .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مسير فنفدت

---

(١) الركوة بفتح فسكون : ما يعد للماء .

أزواد القوم حتى هموا بنحر حمائلهم . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله لوجمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها ، ففعل . فجاء ذو البُر ببُرِه ، [1] وذو التمر بتمره ، وذو النواة بنواته ، قيل : ماكانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء . فدعا عليها حتى ملأ القوم مزاودهم [2] ، فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » . أخرجه مسلم .

* وعن جابر رضى الله عنه قال :

« كنا فى حفر الخندق ، فرأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً [3] شديداً ، فانكفأت [4] إلى امرأتى فقلت : هل عندك شىء ؟ فإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً شديداً ، فأخرجت إلىّ جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة [5] داجنٌ فذبحتها وطحنت الشعير ، فَفَرَغَتْ إلى فراغى

(١) البُرّ (بضم الباء) : القمح .

(٢) جمع مزود بكسر فسكون : ما يجعل فيه الزاد .

(٣) الخمص بضم فسكون أو بفتحتين أو بفتح فسكون : الجوع .

(٤) أى رجعت إلى امرأتى واسمها (سهيلة) .

(٥) بهيمة : تصغير بهمة وهى ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى .والداجن الشاة التى تألف البيت وتتربى فيه .

وقطعتها فى بُرْمَتها (١) . ثم ولَّيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقالت : لاتفضحنى (٢) برسول الله صلى عليه وآله وسلم وبمن معه . فجئته فساررته فقلت : يارسول الله ذبحنا بُهَيْمَةَ لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا . فتعال أنت ونَفَرٌ معك ، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : « ياأهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سوراً (٣) ، فحيَّهَلاً (٤) بكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُنْزِلنَّ بُرْمَتَكم ولاتَخْبِزُنَّ عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى جئتُ امرأتى فقالت : بك وبك (٥) . فقلت : قد فعلت الذى قلت .. فأخرجتُ له العجين فبصقَ فيه وبارك . ثم عَمَدَ إلى بُرْمَتِنَا وبصق فيها وبارك . ثم قال : ادعى خابزة فلتخبز معك ، واقْدَحِى من بُرْ مَتكم ولا تُنْزلوها ، فأقسم بالله لأكلوا حتى

---

(١) البرمة بضم الباء : أى القدر .

(٢) تعنى تحذيره من أن يأتى بمن لا يكفيهم الطعام القليل الذى عندها .

(٣) السور بالضم غير مهموز كلمة فارسية : معناها الوليمة والطعام الذى يدعى إليه .

(٤) وحيهلا بكم : أى تعالوا وعجلوا .

(٥) أى فعل الله بك كذا وكذا .. وهذا كناية عن الكلام الذى عاتبت به زوجها ، حيث خالف قولها : لا تفضحنى برسول الله .

تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط [1] كما هى ، وإن عجيننا ليخبز كما هو . »

أخرجه الشيخان .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتَمرات فقلت : يارسول الله ، ادع الله بالبركة ، فَضَمَّهُنَّ ، ثم دعا لى فيهِنَّ بالبركة . فقال : خذهنَّ واجعلهن فى مزْوَدك هذا ، وكلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل فيه يدك فَخُذْ ، ولاتنثره نثراً ففعلت، فقد حملتُ منه كذا وكذا من وسق [2] فى سبيل الله، فكنا نأْكل منه ونُطْعم ، وكان لايفارق حَقْوى [3] حتى كان يوم قُتِل عثمان رضى الله عنه فإنه انقطع . فسقط فحزنتُ عليه »

أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

* وعن على رضى الله عنه قال :

«كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ،

---

(١) غطت القدر : أى غلت .

(٢) الوسق : ستون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه وسلم

(٣) الحقو بفتح فسكون : موضع شد الإزار وهو الخاصرة . ثم سمى به الإزار .

فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يارسول الله » .

أخرجه الدارمى والترمذى ، وقال : حسن غريب ، لكنه روى من عدة طرق .

* وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن بمكة حجَراً كان يسلم علىَّ ليالى بُعِثْتُ ، إنى لأعرفه الآن »

أخرجه أحمد ومسلم والترمذى ، وقال : حسن غريب .

وله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة غير ماذكر ، أهمها وأفضلها القرآن : فإنه المعجزة المستمرة إلى قرب القيامة [1] ....

* ورحم الله الأستاذ الصاوى على شعلان ،

فلقد قال متحدثًا عن بعض معجزات هذا النبى العظيم صلوات الله وسلامه عليه :

صلاة الله فى أبهى سلام

على قمر الهدى بدر التمام

---

(١) وقد ركزنا على هذا الموضوع قبل هذا ...

وأصحــاب لــه غُــرٌّ كِــرام

هَــدَوْا بضيــاء سنتــه الأنامــاَ

* * *

نــبى اللـــه أشــرق مــن حراء

فروّى الأرض من فيض السماء

صـــلاة فى ســـلامٍ فى ثنـــاء

لمن أهــدى إلى الدنيا الســلاماَ

* * *

نــبى حــاز فضـــل المــرسلــين

كما يستجمع الروض الغصون

بــه اكتمــلت مزايا الســابقــين

كمــا يســتكمل العقد النظــاماَ

* * *

بآياته دعــا فى الفــلك نـــوح

وإبراهـــيم أســلم والذبيـــحُ

ومـوسى عـــنه أنبأ والمسيـح

فـكان لهـم وللدنيـا إماماً

* * *

به يعقـوب قدعـرف الضياء

وأيـوب بـه وجـد الشـفاء

تقـدم فى عُـــلاه الأنبـــياء

وكان لهـم بمبعثـه خـتاماً

* * *

جـرت يمنـاه بالمـاء النميـر

إلى الظمآن فى لفح الهجير

تظللـه الغمامـة فى المسيـــر

وكوثـر بِـرِّه يسقى الغماماَ

* * *

إليه الجزع حنَّ لدى الفراق

فكيف إذن حنينى واشتياقى

سَري ليلاً إلى السبـع الطبـاق

وقبـل النَّيِّرات مَحا الظلامَا

* * كما أسـأله سبحـانه وتعـالى أن يرحم إمام أهل السنة (الشيخ محمود خطاب السبكى) . الذى قـال كذلك فى كتابه (المقامات العلية) متحدثاً ومعبراً عن حبيبه رسول الله ﷺ .. ومشيراً فى نفس الوقت إلى بعض معجزاته صلوات الله وسلامه عليه :

نـبىٌّ رأت لَمـا تولّـد أُمُّـه

معـالم بُصْـرَى مَعْلَمـاً ثـم معـلماَ

نـبى لـه غاصـَت بُحيرة سَـاوةٍ

وضَاءتْ قصورُ الشام واهتزت السماَ

نـبى لـه قـد شُـقَّ إيـوانُ فـارسٍ

وأُخْـمِدَ مـن نيرانـه مـاتضـَرماَ

نـبى أتتـه للرضـاع حـليمةٌ

فما صَـدَّ عـنها ، بـل أبـرَّ وأنعماَ

نــبى قــضى بالعدل حالَ رَضَاعِه

فــلم يرضــع الاَّ ماله الأخ أسهما

نــبى بــه قــد شَــرَّف اللـــه طيبة [1]

كمــا شــرف البيت العتيق المعظما

نبى له قد صارت الأرض مسجداً

طهــوراً إذا مــا المــاءُ عــزَّ تيمَّــمَا

نــبى عــلا فــوق البُــراقِ إلى العُلا

إلى أن تَـــدلَّى غـــيره وتقـــدماً

نــبى رقى السبــع الطــباقَ مجاوِزاً

إلى مشهـــدٍ فيـــه رأى وتكلَّـــمَا

نــبى دُعِى أنــت الحــبيب فَسَلْ تَنَلْ

وقل يُستمع واشــفع تُشَفَع مكرَّما

نــبى له البــارى زَوى الأرض كُلَّهــا

ليعــلم أن المـــلك يبلـــغ كُلَّـــمَا

(١) طيبة : أى المدينة المنورة .

نــبى أعــاد الشمس بعد غروبها

وأبــقى عــليها بالجــلالة مَيسَــماَ

نبى دعا النخَل العظام فأسرعت

إليه تشــقُّ الأرض شَــقًّا مُــقَوَّماَ

نبى له بدر السمــا انشــق طائعاً

وحــنَّ إليــه الجــذع شوقاً وكلَّماَ

نــبى أتــت طوعًا لنصــرته الصَّبَا

فآوى مُنيباً حــيث عــاقب مُجرماَ

نــبى يــؤم الرُّعْــبُ رايات جيشه

مســيرة شــهر حــيث سار مُيَمما

نــبى به عــاذ البعــير من الردى

فأنقــذه ممــا شَــكَا وتظــلَّماَ

نــبى أرادت زينــب كتــم سُمِّــه

وكيف ونطق الشاة بالسُّمِّ أعلَماَ

نــبى لفــرط الصــوم شــدَّ فؤاده

بصَــلْدٍ ولــو شــاء الطعام لأطعِماَ

نــبى إذا مــا غــضَّ جَــفنا لنومه

تيقــظ قــلب ليــس ينفــك مُلْهَمَا

نــبى حــمى الإســلام من كَلَماتِه

بأنفــذ مــن وقــع السهام وأحكما

نــبى أحــلَّ اللــــه مكــة ساعــة

له ، وحَمــاها عن ســواه وحَــرَّمَا

نــبى دعــا الأصــنام فانْهَلن وُقَّعاً

لأوجُهِهِا صَــرعى وقــدكُنَّ جُثَّماَ

نــبى أناب الجــنٌّ طوعًــا له وقد

أبان لهم قــولاً صــحيحاً مُحكَما

نــبى هُدى فى كفِّه سبَّحَّ الحصاَ

وأورق فــيها العــود وانفجرت بماَ

نبى هُدَى أعطى قتادة فى الدجىَ

شظيــةَ عرجون أضاءت لــه كَماَ

نــبى هُــدًى لولاه لــم يخـلُق الــورى

ولا العرش والكرسى والأرضُ والسما

نــبى هــدًى لو لم يكن أفضل الورى

لَمــاَ أمٌّ فى أرض ولا أمٌّ فى ســَما

هــو الأول الهادى هــو الآخـر الذى

تأخـــر إرســالاً ، وخَــلقاً تقـــدمَا

هــو الظاهــر البادى هو الباطن الذى

أبــان لنــا مــا كَان عـــنًا مُــكتَّما

هو المقصــدُ الأسْنَى الأغرُّ فلا تَحــد

ويَمِّمْــهُ تلــقَ الخــير نحــوك يَمَّــمَا

وأنىَّ لمـــن لــم يتخـــذه وسيلـــةٌ

رَشــادٌ ولارُ شــدٌ لمــن صــدَّهُ العمى

أحــاط الــورى عــدلاً وعَــمَّهُمُ رِضَــا

فألف بين الذئب والشــاة فى حِمَى

** وإتماماً للفائدة ، وحتى لا يتسرب الشك إلى قلبك

فى إمكانية هذه المعجزات ، وجوازها عقلاً .. إليك ما تحت هذا العنوان الآتى[1] :

المعجزة ممكنة عقلاً وواقعة فعلاً

لأنها ليست من نوع المستحيل ..

أما أنها ممكنة عقلاً : فلأن العقول السّليمة لاتجد مانعًا من أن الله تعالى ـ وهو القادر المختار ـ يُظهر على أيدى رسله خوارق العادات ، تصديقاً لهم ـ وكون المعجزة مخالفة للسير الطبيعى المعروف لنا فى إيجاد الله الأشياء لاينافى إمكانها ؛ فإن مخالفة السير المألوف مما لم يقم دليل على استحالته .. بل ذلك مما يشاهد وقوعه، كما فى حال المريض يمتنع عن الأكل مدة طويلة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات ، مع وجود العلة التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الهلاك .

وأما أن المعجزة واقعة فعلاً : فلأنه نقل إلينا متواتراً أن الله تعالى أيد رسله بخوارق العادات ، وفى القرآن وكُتب الحديث كثير من ذلك .

---

(١) كما جاء فى تهذيب شرح الخريدة .. بتصرف .

ثم يقول تحت عنوان :

وجه دلالة المعجزة على صدق النبى

اتفق الجمهور على أن المعجزة من البراهين الدالة على صدق النبى فى دعواه النُّبوة ؛ لأنها لما كانت أمراً يعجز عنه جميع الخلق. لم تكن إلا أثراً من آثار قدرة الله ، وما أظهرها الله على يد مدعى النبوة على وفق مراده إلا تصديقاً له فى دعواه ، وكأن الله يقول : **صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى** ، ولو كان مدعى النبوة كاذباً ما أيده الله بها ؛ لأن تأييد الكاذب كذب ، والكذب على الله تعالى محال ، قال تعالى :

﴿ .. وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ .. ﴾[1] .

* * **فالمعجزة إذن** : هى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النُّبوَّة على وفق مراده ، تصديقاً له فى دعواه ، مع عجز سائر المخلوقات عن الإتيان بمثله .. وهذا الأمر : يشمل الفعل والترك ، كعدم إحراق النار لإبراهيم ـ كما يقول فى شرح الخريدة ـ ثم يقول موضحاً معنى قوله : (**خارق للعادة**) أنه احتراز عن

(١) الأحزاب ـ من الآية : ٢٢ .

السحر والشعوذة وغرائب المخترعات ، فليست خارقة للعادة ، بل معتادة ، وتعرف بالتعليم ، غير أن قواعدها لغرابتها يجهلها كثير من الناس .

ومعنى أنها تظهر على يد مدعى النبوة .. أن ما عداها، كالإرهاص ، والكرامة ، والمعونة ، والاستدراج : ليست بمعجزات ، وإن كانت خارقه للعادة لعدم ظهورها على يد نبى :

إذ الإرهاص : خارق يظهره الله قبيل بعثة نبى ، تأسيساً للنبوة، وتمهيداً لها ، كانشقاق إيوان كسرى عند ولادة نبينا عليه السلام ، وخُمود نَارِ فارس ، وتظليل الغمام له .

والكرامة : خارق يُظهره الله على يد ظاهر الصلاح غير مدعى النبوة ؛ إكرامًا له .

والمعونة : خارق يُظهره الله على يد مستور الحال غير مدعى النبوة ؛ تخليصاً له من شدة مثلاً .

والاستدراج : خارق يُظهره الله على يد فاسق يدعى الألوهية على وفق مطلوبه ؛ خديعة له .

ومعنى قوله في تعريف المعجزة : (على وفق مراده تصديقاً له) : احتراز من الإهانة : فإنها خارقٌ يُظهره الله على يد مدعى النبوة كَذِبًا على خلاف مراده ؛ تكذيباً له ، كما حصل لمسليمة الكذاب ، فإنه تفل فى بئر لِيَعْذُبَ ماؤها ، فصار مِلْحًا أُجَاجاً ، وتفل فى عين أعور لتبرأ ، فعميت العين السليمة .

* وأحب أن أذكر الأخ القارئ كذلك ، بأن المعجزة [1] :

إما قولية : كإخبار عيسى عليه السلام قومه بما يأكلون ومايدخرون فى بيوتهم .

أوفعلية وجودية : منحت فيها المادة خواص لم تكن لها : كانقلاب العَصا حَية ، وانبجاس الماء من الحجر .

أو فعلية سلبية : سلبت فيها المادة بعض خواصها ، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم .

كما تنقسم إلى حسية : تدرك بالحواس

كالمن والسلوى ، ونزول المائدة من السماء .

---

(١) كما جاء (فى البحوث الدنيية ــ التوحيد) بتصرف.

وعقلية : تخاطب العقل ، وتعتمد على الفكر ، كمعجزة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وتنقسم كذلك إلى : دائمة : كالقرآن الكريم ، .. وغير دائمة : كمعجزات سائر الرسل .

* * كما أحب كذلك أن أُضيف إلى ما وقفت عليه .. بعض القراءات التى وقفتُ عليها [1] حول :

الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

وإذا كنا قد عرفنا عن المعجزة ما فيه الكفاية

* * فإن الكرامة بالإضافة إلى ما عرفته عنها قبل ذلك كذلك : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبده الصالح ، غير مقترن بالتحدى ، ولا بِدَعْوَى الرسالة ، كولادة مريم لعيسى من غير أب ، وإمداد الله لها بما اشتهت من الرزق من غير سعى .. قال تعالى :

---

(١) فى البحوث الدينية .. بتصرف .

* ﴿ .. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

* وما يروى من أن (سارية) قائد جيوش المسلمين فى فارس سمع صوت أمير المؤمنين (عمر) حين ناداه وهو بالمدينة قائلاً : (ياساريةُ الجبلَ) ، مريداً أن ينحاز بجيوشه إلي ناحية خاصة ، وأنه انحاز لها فكان في ذلك انتصاره ، وانهزام أعدائه من المشركين .. ورجع سارية فأخبَر عمر والصحابة بما سمع من صوت عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

* ومن ذلك ماروى أن الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين ، رضى الله عنه .

* وأن سلمان الفارسى وأبا الدرداء ـ رضى الله عنهما ـ كانا يأكلان فى صحفة فسبحت الصحفة أو الطعام فيها .

* وأن خُبَيْباً ـ رضى الله عنه ـ كان أسيراً عند المشركين بمكة فكان يُؤْتَى بعنب يأكله ، وليس بمكة من عنب .

---

(١) آل عمران ـ من الآية : ٣٧

* وأن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ كان إذا أقسم على الله فى شيء استجاب الله له ، حتى كان يوم القادسية أقسم على الله أن يمكن المسلمين من رقاب المشركين ، وأن يكون أول شهيد فى المعركة فكان كما طلب .

* وأن العلاء بن الحضرمى ـ رضى الله عنه ـ كان يقول فى دعائه : ياعليم ياحكيم ، ياعلىُّ ياعظيم ، فيُسْتَجَابُ له ، حتى إنه خاض البحر بِسَرِيَّة معه فلم تبتل سروج خيولهم .

* وأن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ دعا الله على رجل كان يؤذيه ، فَخَرَّ ميتاً فى الحال .

* وأن رجلاً من النخع كان له حمار فمات فى طريق سفره ، فتوضأ وصلى ركعتين ، ودعا الله عز وجل فأحيا له حماره، وحمل عليه متاعه .. إلى غير ذلك من الكرامات التى لاتعد ولاتحصى ... والتى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها .. آمين

* * وأما السحر ، فيُطْلَقُ فى اللسان العربى على كل مالطف مأخذه ، ودقَّ وخَفِى ، سواء أكان حَلالاً أم حَرامًا ، وفى الحديث:

« إن من البيان لسحراً » ولكن المراد به هنا : كل تخييل يخدع الأعين ، ويظهر لها الأمور المألوفة فى غير أثوابها الطبيعية ، أو يوقع فى النفوس أوهاماً وخيالات تؤثر فيها ، وتوجهها توجيها خاصًا .
والسحر يظهر فى صور متعددة : فقد يكون مهارة تعتمد على خفة الحركة ، ومغالطة الحواس ، كما يفعل الحُواة ، ومحترفو الألعاب السحرية

أو صناعةعلمية أساسها استخدام خواص المادة ، وقوى العناصر، فإذا رآها من يَجهلها ظنّها سِحرا ،

أوتمويهاً قوامه الذكاء وقوة الملاحظة ، كما يفعل كثير من العرّافين ، وقارِئى الكف ، وطارقى الحَصَى ، وضاربى الرمل ، ومستنطقى الورق ، وغيرهم ممن يدعون علم الغيب ، وهم إنما يخبرون الناس بما يتفرسونه فيهم ، ويطالعونه فى أساريرهم ، ويستنتجونه من أقوالهم وما يُحيط بهم . وقد يكون إيحاءً يفعل فى النفوس فِعْلَهُ ، ويسيطر عليها بما له من قوة ، ومن ذلك النوع ما يأتى به كثير ممن يدعون العلم الروحى والاتصال بالشياطين ، ويتعاطون كتابة الرُّقَى والتعاويذ والتمائم ؛ لدفع أثر العين ، ومسّ

الجن ، وخلق الحب والكره ، وإبراء كثير من العلل ، وهم لم يأتوا بشيء أكثر من استخدام قوة الإيحاء والتأثير بها على السُّذَّج والأغرار . وبحسبك أن تعرفه مما ساقه أحد العلماء الأمريكيين في هذا الصَّدد ؛ لتدرك أثر الإيحاء النفسي ، فقد أخبر تلاميذه بأنه سيَسقيهم سائلاً لم يعرفوا عنه شيئاً من قبل ، وأنهم سيُحِسُّون عَقب تناوله بغَثَيان ودُوَار واضطراب ينتهي بالقيء ، ثم قدم إليهم السائل ، ولم يكن شيئاً سوى الماء ، وبرغم ذلك انتابتهم الأعراض التي حَدَّثهم بها . وليس بين الناس اليوم مَن ينكر فعل الإيحاء ، أويشك فيه بعد أن أصبح مَيداناً من ميادين البحث النفسي، ووسيلة لعلاج بعض الأمراض وتحقيق كثير من الغايات .

ويقرب من هذا ما يكون في التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح من تسلط بعض النفوس القوية على غيرها ، والوصول بذلك إلى قراءة الأفكار والكشف عن بعض الخفايا الواقعية التي تحول دونها حجب المادة .

تلك كلها صُور لما يسمى سحراً ، وبتأملها ترى أن السحر يباين المعجزة أشد المباينة ، فليس خَارقًا للعادة ، ولا خارجًا عن طوق

البشر، وإنما هو أمرٌ يُلَقَّنُ ويُتَعَلَّمُ ، وله أسباب يمكن إتقانها بالرياضة عليها ، وهو لا يغير حقائق الأشياء أو يخرجها عن السنن الطبيعي لها ، ثم هو قد ينصرف إلى نواحى الشر ومقاصد السوء ، ويتعاطاه الأشرار للاستعانة به على مآربهم الفاسدة .

* وهناك مارآه وشاهده مئات ألوف البشر من أحوال شيطانية غريبة فى كل زمان ومكان تقع لأولياء الشيطان :

* فَمِنْهُم من كان يأتيه بأنواع من الأطعمة والأشربة ،

* ومنهم من يقضى له الشيطان حاجاته،

* ومنهم من يكلمه بالغيب ويطلعه على بعض بواطن الأمور وخفاياها،

* ومنهم من يمنع نفوذ السلاح إليه ،

* ومنهم من يأتيه الشيطان فى صورة رجل صالح عندما يستغيث بذلك الصالح لتغريره ، وتضليله وحمله على الشرك بالله ومعاصيه،

* ومنهم من قد يحمله إلى بلد بعيد أو يأيته بأشخاص أو حاجات من أما كن بعيدة ، إلى غير ذلك من الأعمال التى تقوى

على فعلها الشياطين ومَرَدَةُ الجان وخبثاؤه .

وتحصل هذه الأحوال الشيطانية نتيجة لخبث روح الآدمى بما يتعاطى من ضروب الشر والفساد والكفر والمعاصى البعيدة عن كل حق وخير ، وإيمان وتقوى وصلاح ، حتى يبلغ الآدمى درجة من خُبْثِ النفس وشرها يتحد فيها مع أرواح الشياطين المطبوعة على الخبث والشر ، وعندئذ تتم الولاية بينه وبين الشياطين ، فيوحى بعضهم إلى بعض ، ويخدم بعضهم بعضاً ،كل بما يقدر عليه ؛ ولذا يقال لهم يوم القيامة : ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ (1) .

وأما الفرق بين كرامة أولياء الله الربانية وبين الأحوال الشيطانية ، فإنه يظهر فى سلوك العبد وحاله ، فإن كان من ذوى الإيمان والتقوى المتمسكين بشريعة الله ظاهراً وباطناً فما يجرى على يديه من خارقة هوكرامة من الله تعالى له ، وإن كان من ذوى الخبث والشر والبعد عن التقوى المنغمسين فى ضروب المعاصى

(1) الأنعام ـ من الآية : ١٢٨ .

المتوغلين فى الكفر والفساد ، فما يجرى على يديه من خارقة إنما هو من جنس الاستدراج أو من خدمة أوليائه من الشياطين له ، ومساعدتهم إياه .

فَلاَحِظْ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ حتى تكون من أولياء الرحمن ، لا من أولياء الشيطان الذين نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيذنا من شرورهم وشرور شياطينهم .. آمين ..آمين ..آمين .

** والآن ـ أخا الإسلام ـ وبعد أن وقفتَ معى على كل تلك الأساسيات التى كان لابد أن تقف عليها بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام بصفة عامة ، والرسول محمد ﷺ بصفة خاصة :

أنْتقل بك بعد ذلك إلى الموضوع الأساسى ، وهو : الواجب والمستحيل والجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فأما :

الصفات الواجبة للرسل إجمالاً وتفصيلاً

فإنه يجب للرسل إجمالاً : كل كمال بشرى ، كالعدل ، والحلم ، والصبر ، والشجاعة ، والمروءة ، والكرم ، وحسن الخلق ،

والوفاء بالعهود ، والمحافظة على العقود ، والإحسان ، والصفح، وعلو النسب ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة .

ويجب لهم تفصيلاً : الصدق ، والأمانة ، والتبليغ، والفطانة .

وإليك توضيح ما يجب لهم تفصيلاً :

١ - الصدق ودليل وجوبه للرسل

الصدق هو : (**مطابقة الخبر للواقع**) وعلى هذا فإنه : يجب للرسل الصدق فيما يبلغونه عن الله تعالى وفى جميع أقوالهم ولو عادية ؛ لأن ما ظهر على أيديهم من المعجزة ، وهى : أمر خلقه الله تعالى مخالف للعادة مقرون بالتحدى ، أى واقع عند دعوى الرسالة مع عدم إمكان معارضته بمثله (منزل) منزلة قول الله تعالى: صدق عبدى فى كل مابلغه عنى . كتظليل الغمام ، وانشقاق القمر وغيرهما .

والدليل على وجوب الصدق لهم :

أن الله تعالى قد صدقهم بالمعجزات ، فأظهر على أيديهم خوارق العادات ، وكأنه تعالى يقول ـ كما عرفنا ـ صدق عبدى

فيما يبلغ عنى ، ولو جاز عليهم الكذب ما صدقهم الله ؛ لأن تصديق من يجوز عليه الكذب كذب ، والكذب محال على الله تعالى، فاستحال عليهم الكذب ، ووجب لهم الصدق ، قال تعالى: ﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (1) . وقال ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (2) . وقال : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (3) .

٢ ـ الأمانة ودليل وجوبها للرسل

ويجب فى حقهم : الأمانة ، وهى العصمة التى معناها أن الله تعالى قد حفظ ظواهرهم وبواطنهم من المعاصى كبيرها وصغيرها؛ لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم غير الخاصة بهم . فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾(4). وقال: ﴿ .. فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

---

(1) الأحزاب ـ من الآية : ٢٢ .

(2) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦ .

(3) النجم : الآيتان ٣ و ٤ .

(4) آل عمران : الآية : ٣١ .

تَهْتَدُونَ ... ﴾ (١) . وقال : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾ (٢) .

والله سبحانه وتعالى لا يأمر بمعصية ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وهذا معناه أنه لوجازت عليهم خيانة بفعْل منهي عنه أوبترك مأمور به ما أمرنا الله تعالى باتباعهم ؛ لأنه تعالى لايأمر باتباع الخائنين.. وهذا دليل على أنه قد استحالت عليهم الخيانة ، ووجبت لهم الأمانة .

هذا ، وإذا كنا قد عرفنا أنه يجب في حقهم العصمة ـ أي الأمانة ـ فإنه يجب في حقهم كذلك تبليغ كل ما أُمروا بتبليغه إلى الخلق ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ... ﴾ (٤) ـ كما سنعرف بعد بالتفصيل .

---

(١) الأعراف : من الآية : ١٥٨ .

(٢) الأعراف : من الآية : ١٥٧ .

(٣) الأعراف : من الآية : ٢٨ .

(٤) المائدة : من الآية : ٦٧ .

وإذا كنا قد عرفنا كذلك ـ قبل ذلك ـ بأنه يجب فى حقهم العصمة من المعاصى كبيرها وصغيرها :

فإننى أحب أن أشير هنا ـ بعد ذلك ـ إلى ما سجله صاحب (الدين الخالص) (١) فى الهامش تعليقاً على هذا ، وهو :

قال فى العقد الثمين : إن الله تعالى قد نزههم عن كل وصمة ونقص فَهُم معصومون عن الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها على المختار . وما وقع فى قصص بعضهم من بعض المفسرين لايُلتَفَتُ إليه (فإنما) هو من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما يشاء ، وأن يعاتبه على خلاف الأَوْلَى معاتبة غيره على المعصية ، كما قيل : إن حَسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولا خلاف بين العلماء فى عصمتهم عن تعمد الكبائر ، وإنما الخلاف فى أن عصمتهم عن ذلك بدليل السمع أو بدليل العقل (فالأول) مذهب أهل السنة (والثانى) قول المعتزلة .

وأما وقوع الصغائر فَجَوَّزَهُ البعض ، والمحققون من المحدثين لم يجوزوا إلا وقوع الصغائر سَهْواً .

---

(١) جـ١ صفحة : ٥٣ .

و أما الكبائر مطلقاً والصغائر عمداً فلا ، وعلى ذلك الكثير .

وقد قرأت كذلك ، حول هذا الموضوع فى (البحوث الدينية) : أن دليل ثبوت العصمة لهم : أنهم لو خانوا فارتكبوا المعصية ، لكان للناس العذر فى أن يرتكبوها تَبَعًا لهم ؛ لأن الله قد أمر باتباعهم فى كل أقوالهم وأفعالهم إلا فيما ثبت اختصاصهم به ، فكأنه يأمر بالمعصية ، والله لا يأمر بالفحشاء ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ثم إن وقوع الذنوب منهم ينفى الثقة بهم ، ويستوجب الإعراض عنهم ؛ لأن النبى هو المعلم الأول ، ولن تلقى كلمة المعلم منفذاً إلى القلوب إلا إذا تمسك بما يدعو إليه ، وكان لغيره قدوة صالحة .

وكيف يستطيع الرسول أن يجهر بأمره ، ويدعو الناس إلى اتباعه إذا أُخِذت عليه هفوة تخدش المروءة ، وتكون موضِعا للطعن والتَّعْيير ؟!

على أن النبوة أسمى مناصب الخَلق وأشرفها ، والله يصطفى لها من عباده مَن يشاء ، ويُضْفِى عليه من أنواع الكمال البشرى

مالا غاية وراءه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، فلابد أن يكون الرسول أطهر الناس ، وأكبرهم نفساً ، وأبعدهم عن كل صغيرة وكبيرة من الذُّنوب .

ولكن الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ والنسيان فى غير التشريع الذى يوحيه الله إليهم ؛ لأنهم بشر يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، ويكفى فى معرفة ذلك أن نسوق لك كلمة (ابن حزم) فى الجزء الرابع من كتابه (الْمِلَل والنحل) قال :

« إنه قد يقع من الأنبياء السهو من غير قصد ، ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله والتقرب منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى ، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلاً ، بل ينبههم على ذلك ـ ولابُدَّ ـ إثْر وقوعه منهم ، ويُظهر عز وجل ذلك لعباده ، ويُبين لهم » .

وخطؤهم فى الأمور المعاشية ، وماليس من التشريع فى شيء لايَطعن فى عصمتهم كذلك ، وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام فى حديث له :

« إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » ويقول «أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

فالأنبياء : معصومون من مقارفة الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها ، وكل ما يُنسب إليهم مما يوهم نقصهم أو انحرافهم يجب أن يُفْحَصَ عنه فيُرَدَّ إن كان باطلاً مُختلَقًا ، وإن كان ثابتًا لا مجال للشك فيه وجب أن يُفْهَم على وجهه الصحيح، وأن يؤول بما ينفي الرِّيْب عنهم ، ويحفظ عليهم قُدسية النبوة وطهرها . ومن أمثلة ذلك :

* ما جاء به القرآن الكريم خاصاً بيوسف عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (١).

وليس فى هذا ما يطعن فى عصمته عليه السلام متَى فُهِم على وجهه الذى يليق بجلال النبوة ويُسيغه مفهوم اللغة . إن قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ معناه أنه مال إليها ، بحكم طبيعته البشرية ، ولكنه تَغلَّبَ على هذا الميل ، إذْ رأى برهان ربه ، وما برهان ربه ؟ إنه هو

(١) يوسف : من الآية ٢٤ .

حكمه على المكَلفين باجتناب المحارم ، وكُلٌّ ما تَمثّل ليوسف من قبح هذه الفَعْلة ، ودلائل النهى عنها ، وما تجلّى من يقظة ضميره، وخشيته لله .

ومن هذا ما تحكيه الآية عنه فتقول : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [1] .

وليس فى إحساس يوسف بهذه الخلجات النفسية من حرج ، مادام قد جاهدها ، وقضى عليها ، بل إن القول بأنه لم يحس مطلقاً بشيء منها هو الذى يعتبر غير مفهوم ؛ لأنه بشر له غرائزه ، وله قُواه .

وفى ذلك يقول الزمخشرى فى تفسيره (الكشاف) : « ولم يكن ذلك الميل ، المسمى هَمّاً لشدته ، لما كان صاحبه ممدوحاً عندالله بالامتناع ؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء حسب عظم الابتلاء وشدته » .

وإتماماً للفائدة إليك ـ أخا الإسلام ـ هذه الأقوال الواردة كذلك فى الموضوع الذى قد يكون شاغلاً لكثير من المسلمين

(١) يوسف : من الآية ٢٣ .

الباحثين عن القول الصحيح المناسب ـ كما عرفنا ـ لقدسية النبوة:

* ففى القرطبى قرأت ما خُلاَصته :

قوله : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ هى امرأة العزيز ، طلبت منه أن يواقعها ، وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين ... ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ ، يقال : إنها سبعة أبواب ، غلّقتها ثم دعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أى هَلُمَّ وأَقبِلْ وتعال .. ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ ﴾ أى أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتنى إليه ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ يعنى زوجها ، أى هو سيدى أكرمنى فلا أخونه ..قاله مجاهد وابن إسحاق والسدى . وقال الزجاج : أى إن الله ربى تولأنى بلطفه ، فلا أركب ما حرمه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وفى الخبر أنها قالت له : يا يوسف ، ماأحسن صورة وجهك ! قال : فى الرِّحِم صوَّرنى ربى ، قالت : يا يوسف ، ما أحسنَ شعرك ! قال : هو أول شىء يبلى منى فى قبرى ، قالت : يا يوسف ، ما أحسن عينيك ! قال : بهما أنظر إلى ربى . قالت : يا يوسف ، ارفع بصرك فانظر فى وجهى ، قال : إنى أخاف العمى فى آخرتى . قالت : يا يوسف ، أدنو منك ، وتتباعد عنى ؟ قال :

أريدُ بذلك القرب من ربى . قالت : يا يوسف ، القيطون [1] فادخل معى ، قال : القيطون ـ أى المخدع ـ لايسترنى من ربى . قالت : يا يوسف ، فراش الحرير قد فرشته لك ، قم فاقض حاجتى ، قال : إذَنْ يذهب من الجنة نصيبى ... إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها ، إلى أن هَمَّ بها . وقد ذكر بعضهم : ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة ، فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه ... ثم يقول القرطبى باختصار : واختلف العلماء فى هَمِّه ، ولاخلاف أن همها كان بالمعصية ، وأما يوسف فهَمَّ بها ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ أى ولكن لما رأى البرهان ما هَمَّ ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ...

إلى أن يقول : قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ والجواب محذوف لعلم السامع ، أى لكان ما كان ، وهذا البرهان غير مذكور فى القرآن ، فروى عن على بن أبى طالب رضى الله

---

(1) أى المخدع .

عنه أن زُلَيخا قامت إلى صنم مُكلّلٍ بالدُّر والياقوت فى زاوية البيت فسترته بثوب ، فقال : ما تصنعين ؟ قالت : استحى من إلٰهى هذا أن يرانى فى هذ الصورة ، فقال يوسف : أنا أولى أن أستحى من الله، وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأن فيه إقامة الدليل .

* وقيل : رأى مكتوباً فى سقف البيت : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

* وقال ابن عباس : بدت كَفٌّ مكتوب عليها : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ (٢) .

وقال قوم : تذكر عهد الله وميثاقه . وقيل : نودى يا يوسف ، أنت مكتوب فى الأنبياء وتعمل عمل السفهاء ؟ !

وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدران عاضاً على أنملته يتوعده فسكن ، وخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن والضّحّاك وأبو صالح وسعيد بن جبير .

وروى الأعمش عن مجاهد قال : حَلَّ سَراويله ، فتمثل له يعقوب ، وقال له : يا يوسف ، فولَّى هارباً .

---

(١) الإسراء : ٣٢ .

(٢) الانفطار : ١٠

وروى سفيان عن أبى حصين عن أبى سعيد بن جبير قال : مثل له يعقوب ، فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، قال مجاهد : فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف لم يولد له إلا غلامان ، ونقص بتلك الشهوة ولده ، وقيل غير هذا .

وبالجملة : فذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله يوسف حتى قوى إيمانه وامتنع عن المعصية . ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ . والسوء الشهوة ، والفحشاء المباشرة وقيل : السوء الثناء القبيح ، والفحشاء الزنى ـ وقيل : السوء خيانة صاحبه ، والفحشاء ركوب الفاحشة . وقيل : السوء عقوبة الملك العزيز .

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ :

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المخلِصين) بكسر اللام ، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله ، وقرأ الباقون بفتح اللام ، وتأويلها : الذين أخلصهم الله لرسالته ، وقد كان يوسف صلى الله عليه وسلم بهاتين الصفتين ؛ لأنه كان مخلِصاً فى طاعة الله تعالى ، ومستَخلَصاً لرسالة الله تعالى .

* وفى (التَّفسير الوسيط) جاء حول قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ : أن المعنى : ولقد همت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام تجذبه إلى نفسها ، وتوسعه لومًا على موقفه منها مع أنها هى التى طلبته وراودته ، وأذلت له نفسها ، وهو فى نظرها عبد لها وهى سيدته ، ولكنه هَمَّ بها يدفعها عن نفسه ، وكاد يضربها لمزيد إصرارها على مخالطته ، لولا أن رأى ضميره برهان ربه يصرفه عن ضربها ؛ لأنها آوته وأكرمته ، ولأنه لو ضربها لادَّعَتْ أنه رَاوَدَها ، ولَمَّا امتنعت من إجابته ضربها ، لولا ذلك لضربها وانتقم منها لهذه الجريمة التى دبَّرتها له وهو منها برىء ومعصوم .

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾:أى فعلنا مثل ذلك التثبيت بالبرهان مع يوسف ـ عليه السلام ـ لنصرف عنه السوء . وهو ضرب من أكرمته وآوته ، ولنصرف عنه الفحشاء التى دعته إليها ـ وهى المخالطة ـ إنه من عبادنا الذين أخلصناهم لنا ، وهم آباؤه الذين أخلصهم ونَقَّاهم من شوائب النقص . فقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (١) .

وفسرها بعض العلماء بقوله : ولقد همت به المرأة ضَرباً ـ لأنه أذلها وحطم كبرياءها ـ وهَمَّ بها دفاعاً عن نفسه .

ولكن ما قلناه أولى فإن حبها الشديد وجذبها له من قميصه يمنع من أنها تفكر فى ضربه ، ولهذا نرجح ما قلناه قبل ذلك .

وقيل : الهَمُّ منها عزم وإصرار على المعصية ، ومنه مجرد خطور بالبال بمقتضى الطبيعة البشرية مع الاعتصام بالتقوى . وسمى باسم الأول مشاكلة . ويدل لذلك أن الله تعالى مدحه بأنه من عباده المخلصين . ولا يكون ذلك إلا مغ سلامة الإرادة وقوة الوازع المتمثل فى برهان ربه . وهذا ليس قادحاً فى العصمة . فإنه تعالى هو العاصم وقد عصمه ببرهانه ، وهو الحجة التى أقامها الله فى نفسه على التحريم حين المراودة منها له ولجاجتها عليه . وقوة البرهان وسلطانه على إرادة الأنبياء ينتهيان دائماً إلى العصمة من

---

(١) ص : ٤٥ ـ ٤٧ .

دواعى البشرية المحرمة ، ولاشك أن الامتناع مع الخطور بالبال يدل على قوة الوازع وقوة الإرادة أكثر من الامتناع مع عدم وجوده ـ ومع جودة هذا الرأى فما قلناه أولا هو أفضل الآراء . وهو ما وفقنا الله له . والله تعالى أعلم .

ثم يقول بعد ذلك فى ختام هذا التفسير : وقد ضربنا صَفْحًا عما سطره بعض المفسرين من القصص الهابطة التى ذكرت فى تفسير الآية ، وينبو قلمنا عن تسطيرها .

وختامًا لهذا العرض أورد كذلك :

* ما جاء فى (فى ظلال القرآن الكريم) للأستاذ الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يقول حول قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾

لقد حصر جميع المفسرين القدامى والمحدثين نظرهم فى تلك الواقعة الأخيرة . فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رَوَوْا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعاً شبقًا ، والله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع ! صورت له هيئة أبيه يعقوب فى سقف المخدع عاضًا على أصبعه بفمه ! وصورت له لوحات كتبت عليها

آيات من القرآن ـ أى نعم من القرآن ! ـ تنهى عن مثل هذا المنكر، وهو لا يرعوى ! حتى أرسل الله جبريل يقول له : أدرك عبدى ، فجاء فضربه فى صدره .. إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التى سار وراءها بعض الرواة ، وهى واضحة التلفيق والاختراع !

وأما جمهور المفسرين فسار على أنها همت به هَمَّ الفعل ، وهم بها هَمَّ النفس ، ثم تجلى له برهان ربه فترك .

وأنكر المرحوم الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار على الجمهور هذا الرأى . وقال : إنها همت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها وهى السيدة الآمرة ، وهَمَّ هو بردّ الاعتداء ، ولكنه آثر الهرب فلحقت به ، وقَدّتْ قميصه من دُبُر [1] .. وتفسير الهم بأنه الضرب ورد الضرب مسألة لادليل عليها فى العبارة ، فهى مجرد رأى لمحاولة البعد بيوسف عن هَم الفعل أو هم الميل إليه فى تلك الواقعة ، وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص .

أما الذى خطر لى وأنا أراجع النصوص هنا ، وأراجع الظروف التى عاش فيها يوسف ، فى داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة

---

(١) أى من الخلف .

فترة من الزمن طويلة وقبل أن يؤتى الحكم والعلم وبعدما أوتيهما ..

الذى خطر لى أن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ..

هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعدما أبى يوسف فى أول الأمر واستعصم .. وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام فى النهاية والنجاة .. ولكن السياق القرآنى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالبة ؛ لأن المنهج القرآنى لايريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة ، وفى محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك ـ فذكر طرفى الموقف بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته ، ومع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ؛ ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً .

هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص ، ونتصور الظرف . وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية ، وما كان يوسف سوى بشر . نعم إنه بشر مختار . ومن ثَمَّ لم يتجاوز همه الميل النفسى فى لحظة من اللحظات ، فلما أن رأى برهان ربه الذى

نبض فى ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأبى .

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

* * ومما يوهم ظاهره المساس بعصمة محمد ﷺ قصته مع عبد الله بن أم مكتوم التى يصورها قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ .

* فقد جاء حول تفسير هذه الآيات أن النبى ﷺ كان يدعو عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وأبا جهل ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهم من صناديد قريش فأتاه ابن أم مكتوم[1] الأعمى ، وقال له يا رسول الله : « أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى » ، وكرر ذلك وهو لايعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم ، فكره رسول الله قَطْعَهُ

---

(١) وهو عبدالله بن أم مكتوم ، ويقال عمرو بن أم مكتوم

لكلامه ، وأعرض عنه عابِساً ، فنزلت الآيات .

وليس في القصة ما يُخل بعصمته عليه السلام ، فإنه لم يعرض عن ابن أم مكتوم قَصداً لإساءته ، ولا استصغاراً لشأنه ، وإنما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرغ لما هو فيه من دعوة أولئك الأشراف ، وتهالكًا على إيمانهم ؛ لأنه كان يرجو أن يسلم بإسلامهم خلق كثير ، ويطمع في ذيوع أمره إذا انضم هؤلاء إليه ، وكَفُّوا عن مناضلته والكيد له .

وكان النبي ـ إذنْ ـ يبتغي بعمله التقرب إلى ربه ، كَان جاداً في نشر الدعوة مستغرقا فيما رآه أنفع لها وأجدى عليها ، وأقرب شيء إلى الطبيعة البشرية في هذه الحالة أن يعبس الإنسان إذا صرفه صارف عما هو بِصَدَدِه ، كما فعل ابن أُم مكتومٍ .

ولكن ذلك كان على خلاف مراده تعالى فعاتبه عليه ، ونبهه إليه ، وبين له أن الصواب في ألا يعرض عن راغب في المعرفة مهما قل شأنه ، وألا يتصدى لمعرض عن الهداية وإن كان عظيماً ؛ لأن مهمته التبليغ ، وما عليه من شيء في كفر الناس أو إيمانهم .

قال الثورى : فكان النبى ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول : « مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى » ، ويقول «هل من حاجة » ، واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما ، قال أنس : فرأيته يوم القادسية راكباً وعليه درع ومعه راية سوداء(١) .

كما روى أنه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ، ولا تصدى لغنى .

* * وأستكمل معك ـ أخا الإسلام ـ هذا الموضوع فى تهذيب شرح الخريدة ، تحت عنوان :

عصمة الأنبياء وَرَدُّ الشُّبَهِ الواردة عليها

لقد عصم الله تعالى أنبياءه من المعاصى وحفظ ظواهرهم وبواطنهم ، فلا يتركون واجباً ولا يفعلون مَنهياً عنه ، و يدل على أنهم معصومون من المعاصى أمور منها :

(١) أنهم لو أذنبوا لما أمرنا الله باتباعهم .

(٢) أنهم لو أذنبوا لكانوا ظالمين ومانالهم عهد النبوة لقوله تعالى:

---

(١) راجع المسألة الثالثة حول تفسير الآية فى القرطبى .

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

(٣) أنهم لو أذنبوا لسقطت هيبتهم من القلوب ونفر الناس عنهم ، فتضيع الفائدة من إرسالهم .

وما ورد من الآيات الموهم ظاهرها عدم عصمة الأنبياء فمؤول بصرفه عن ظاهره ، وحمله على ما يناسب مقامهم :

أ ـ من ذلك ما ورد فى شأن سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ مما يوهم أنه عصى ربه كقوله تعالى : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (٢) فيحمل ما صدر منه على أنه كان قبل النبوة ، فلا ينافى عصمته بعدها ، ويرشد إلى أنه كان قبل النبوة قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أى ثم جعله نبيًا بعد الأكل من الشجرة . ويجوز أن يكون ناسيًا للنهى عند الأكل من الشجرة ، فلا معصية ، ويرشد إليه قوله : تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (٣) .

---

(١) البقرة ـ من الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة طه : آخر الآية ١٢١ ثم الآية : ١٢٢ .

(٣) سورة طه ـ من الآية : ١١٥ .

ب ـ ومنه ما ورد في شأن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ من قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ (١) . مشيراً إلى بعض الكواكب ، فإن ظاهره الشرك إن اعتقد ذلك ، والكذب إن لم يعتقده، ومنه قوله تعالى : ﴿ .. إِنِّي سَقِيمٌ .. ﴾ (٢) حين نظر في النجوم ، فإن ظاهره الكذب ؛ لأنه لم يكن مريضاً وقتئذ ، وقوله : ﴿بل فعله كبيرهم هذا ﴾ (٣) مشيراً إلى كبير الأصنام فإن ظاهره الكذب ؛ لأن الذى حطم الأصنام هو سيدنا إبراهيم ، فَيُحْمَلُ قولُه: ﴿هَٰذَا رَبِّي ﴾ على الفرض والتقدير فى معرض إقامة الحجة على بطلان زعم قومه ، وهذا باطل ، فزعمكم باطل . ويحمل قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ على سقم نفسه وهو الحزن لعدم إيمان قومه ، ويحمل قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ على أنه تعريض بغباوة قومه ؛ لأنهم يعبدون آلهة لا تغنى عنهم شيئاً والتعريض ليس كذباً.

جـ ـ ومنه ما ورد فى شأن نبينا محمد عليه السلام من نحو

---

(١) الأنعام ـ من الآية : ٧٧ .

(٢) الصافات ـ من الآية : ٨٩ .

(٣) الأنبياء ـ من الآية : ٦٣ .

قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ .. ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .. ﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ .... ﴾ [3]

فيُحمل فى الآية الأولى على أنه عتاب للنبى ﷺ على ترك الأَوْلَى فى أمر الحرب ؛ لأن النبى ﷺ كان قد أذن لجماعة فى التخلف عن غزوة تبوك عندما تعللوا بأعذار دون أن يتبين صدقهم .

ويحمل الذنب فى الآية الثانية على ترك الأَوْلَى ، وهو ليس ذنباً فى الحقيقة ، وأطلق عليه ذنب نظراً لمقام النبى ﷺ .

ويحمل فى الآية الثالثة على أنه عتاب للنبى ﷺ على ترك الأَوْلَى ، فقد روى أنه عليه السلام أُتِىَ بسبعين أسيراً فى غزوة بدر، فيهم العباس عمه ، وعقيل بن أبى طالب ، واستشار أبا بكر فيهم، فقال : قومك وأهلك استبقهم ، فلعل الله تعالى أن يتوب عليهم ،

---

(١) التوبة ـ من الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الفتح ـ من الآية : ٢ .

(٣) الأنفال ـ من الآية : ٦٧ .

وخُذْ مِنهم فدية تقوى بها أصحابك ، وقال عمر : كَذَّبُوكَ وأخرجوك من بلدك فاضربْ أعناقهم ، وقال سعد بن معاذ : الإثخان فى القتل أحب إلّى . فرضى رسول الله ﷺ بالفداء ، فنزلت الآية عتاباً للنبى على ترك الإثخان فى القتل وهو أولى من الفداء ، إلى آخر ما ورد فى شأن بعض الأنبياء ، فيحمل على ما يليق بمقامهم ؛ منعا للتعارض بين ظاهر الآيات والأدلة القطعية الدالة على عصمتهم .

٣ـ التبليغ ودليل وجوبه للرسل

فيجب فى حقهم التبليغ ، وهو (توصيل الرسل جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه إليهم) ، أى أنه يجب على كل مكلف أن يؤمن بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد بلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه .

والدليل على وجوب التبليغ للرسل : أن كتمان شيء مما أُمِرُوا بتبليغه خيانة ومضيع لفائدة الرسالة ، والخيانة مستحيلة عليهم كما تقدم ، فاستحال عليهم الكتمان ووجب لهم التبليغ .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ .. ﴾ (١) ، والأمر للوجوب ، وما ثبت له عليه السلام ثبت للرسل ، وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (٢) ولايتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ .

وعن معاوية رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إنما أنا مبلغ والله يهدى ، وإنما أنا قاسم والله يُعطى** » أخرجه الطبرانى فى الكبير .

٤ ـ الفطانة ودليل وجوبها للرسل

الفطانة معناها : (ذكاء العقل وحدته وسرعة الإدراك وحضور البديهة وقوة الحجة) .

والدليل على وجوب الفطانة للرسل : أنهم أرسلوا لهداية الخلق وإرشادهم بالأدلة وإقامة الحجج لإثبات ما جاءوا به وإبطال شبه المنكرين وقطع أعذارهم ، ولا يكون ذلك إلا بالفطانة ، فلولم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجج وإثبات دعواهم وكان

---

(١) المائدة ـ من الآية : ٦٧ .

(٢) النساء ـ من الآية : ١٦٥ .

إرسالهم عبثاً ،والعبث مستحيل على الله تعالى ، فاستحالت عليهم البلادة ، ووجبت لهم الفطانة ، قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [١] وقال : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ .. ﴾ [٢] وقال : ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ .. ﴾ [٣] ، وأيضا فالله قد اختارهم لتبليغ شرائعه ، والله تعالى لايختار للتبليغ عنه من يجوز عليه كذب أو خيانة أو كتمان أو بلادة .

* * وأما عن :

المستحيل فى حق الرسل

فإنه يستحيل على الرسل إجمالاً : كل نقص بشرى يخل برسالتهم ، أو يؤدى إلى نفرة الناس عنهم ، كالظلم ، والغدر وخلف الوعد ، ونقض العهد ، والجور فى الحكم ، والجبن ، وقسوة القلب ، والكبرياء ، ودناءة الأصل ، والجنون ، والجذام ، والبرص .

---

(١) هود ـ من الآية : ٣٢ .

(٢) الأنعام ـ من الآية : ٨٣ .

(٣) النحل ـ من الآية : ١٢٥ .

كما يستحيل تفصيلاً أضداد الصفات الواجبة فى حقهم .. أى أنه يستحيل عليهم تفصيلاً : الكذب ، والخيانة ، والكتمان ، والبلادة .

والدليل على استحالة هذه الأمور على الرسل : أنها نقائص تخل بالرسالة ، وتضيع فائدتها ، وكل ما يخل بالرسالة يستحيل على الرسل ، ولأن الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة قد ثبت بالأدلة وجوبها للرسل ، فتكون أضدادها مستحيلة عليهم .

وإلى هذا يشير صاحب الخريدة فى قوله :

وَصِفْ جميع الرسل بالأمانهْ
والصدق والتبليغ والفطانهْ
ويستحيل ضدها عليهمُ
وجائز كالأكل فى حقهمُ

* * وأما عن :

الجائز فى حق الرسل عليهم السلام

فإنه يجوز فى حقهم كل وصف بشرى لا يؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية : بألا يكون منهيا عنه ولا مباحاً مُزْرِياً ، ولا مَرضاً مُزمِنا أو تعافه النفس ـ كالجذام والبرص سواء كان مما لايُستغنى عنه عادة كالأكل والشرب والنوم ، أو كان مما يُستغنى عنه كأكل الفواكه والنكاح ، أو كان من الأمراض غير المزمنة وغير المنفرة ، فكل ذلك جائز (فى حقهم) عليهم السلام ، ولا تخلو هذه الأعراض النازلة بهم من فوائد كتعظيم أجورهم ، وعلو مراتبهم ، وكالتشريع كما عرفنا فى أحكام السهو فى الصلاة من سهوه ﷺ ، وكيف تؤدى الصلاة فى حال المرض والخوف من فعله عليه الصلاة والسلام حال ما ذكر ، ودلالة الفعل أقوى من دلالة القول، وكالتسلى بأحوالهم إذا ما نزل بنا ما نزل بهم ، وكالتنبيه على حقارة الدنيا وخسة قدرها عند الله تعالى ، ودخل فى قولنا : (المباح المزرى) سؤال الصَّدقَة ، بل قبولها فلا يجوز عليهم الأكل فى السوق ، ودخل فى (المرض المزمن) العمى والجنون ولو قَلّ ؛ لأن شأنه أن يزمن ، ولأنَّه نقص ولم يَعْمَ نبى قَطُّ ، وما قيل إن شُعيباً

عليه السلام كان ضريراً لا أصل له ، ويعقوب إنما حَصلت له غشاوة وزالت .

ـ وأما السهو فيجوز فى الأفعال كالسلام من ركعتين دون الأقوال .

ـ وأما النسيان فهو ممتنع فى البلاغيات قولية أوفعلية قبل تبليغها ، أما بعد التبليغ فجائز ؛ لأن الحفظ والتبليغ واجب بعد ذلك على المبلغ إليه العمل به ، ويجوز نسيان المنسوخ مطلقاً قبل التبليغ وبعده .

وقد أشار فى الجزء الأول من (الدين الخالص) إلى أهم ما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام ، فقال :

* (ويجوز) فى حقهم عليهم الصلاة والسلام كل وصف بشرى لا يؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية : كالأكل والشرب ، والمشى فى الأسواق ، والنوم والجوع والعطش ، والجماع الحلال ، والمرض غير المنفر ، والبيع والشراء ، والسهو للتشريع وبيان ما يترتب عليه كما وقع للنبى ﷺ فى الصلاة . وكذا النسيان فى غير

الأحكام التى تبلغ . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ .. ﴾ (١) . وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً .. ﴾ (٢) . وفى حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : يا رسول الله أتنام قبل أن تُوتِرَ ؟ فقال : « **يا عائشة إن عينَىَّ تنامان ولا ينام قلبى** » أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى .

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عَشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير .

أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه .

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكرونى** » .

أخرجه الشيخان وأبوداود والنسائى وابن ماجه .

---

(١) الفرقان : من الآية ٢٠ .

(٢) الرعد : من الآية ٣٨ .

* وعن أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﷺ قال : « أربع من سنن المرسلين : التعطر ، والنكاح والسواك والحياء » .

أخرجه أحمد والترمذى .

ثم يقول بعد ذلك : (وحكمة) اتصافهم بما ذكر : التشريع لأممهم وإظهار فضلهم ، والتنبيه على خِسة الدنيا عند الله تعالى وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه .

وقد قال فى هامش « الدين الخالص » مُعَلقا على هذا :

قال فى العقد الثمين : وفى حصول الأعراض لهم رفع لدرجاتهم من غير قدح فى رسالتهم ؛ إذ لا يُخل شىء من الأعراض البشرية بمنصبهم ، ولا يمتنع فى حقهم إلا ما يقدح فى ثبوت الرسالة ، وليس فى ذلك إلا مضاعفة الأجور .

(وفيه) أيضاً أعظم دليل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام ، وأنهم مبعوثون من عند الله تعالى ، وأن تلك الخوارق التى ظهرت على أيديهم هى بمحض خلق الله تعالى تصديقاً لهم عليهم الصلاة والسلام ، إذ لو كانت لهم قوة على اختراعها لدفعوا

عن أنفسهم ما هو أيسر منها من الأمراض والجوع وألم الحر والبرد وغير ذلك مما سلم منه كثير ممن لم يتصف بالنبوة .

(وفيه) أيضا رفق بضعفاء العقول لئلا يعتقدوا فيهم الألوهية بما يرون لهم من الخوارق والخواص التى اختصهم الله تعالى بها ؛ ولهذا رَدَّ سبحانه وتعالى على النصارى قولهم بألوهية عيسى وأمه بافتقارهما إلى الأعراض من أكل الطعام وغيره .

هذا ، والحق أن أفعال الرسل دائرة بين الإيجاب والنَّدْب لاغير؛ لأن المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام بمقتضى الشهوة فقط كما يقع من غيرهم ، بل لا يقع منهم إلا مصاحباً لنية يصير بها قربة ، وأقل ذلك أن يقصدوا التشريع ، وذلك من قربة التعليم ، والمؤمن لو نوى بمباحاته كلها مثّل ذلك من النيات انقلبت طاعات ، كما إذا نوى بنومه وأكله وشربه التَّقَوِّى على طاعة الله فإنه يكون عبادة ، فكيف بسيد المرسلين الذى فاق بالقيام بحقوق العبودية جميع البريةِ (وقد) ثبت أنه تورمت قدماه من كثرة قيامه لمولاه مع ما حباه وأولاه (واعلم) أنه ــ إن جاز لحوق الأمراض بهم فهى لا تتعدى أبدانهم الشريفة إلى قلوبهم باعتبار

مافيها من المعارف ، فلا يخل المرض بشيء منها ، ولا يكدر عليها صفوها ولا يوجب لهم ضجراً ولا ضعفاً لقواهم الباطنة ، وكذلك النوم والجوع لا يستوليان على قلوبهم ؛ ولهذا كانت تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم،وكان النبى ﷺ ينهى غيره عن الوِصَال فى الصوم، مع أنه كان يفعله قائلاً : « **إنى لستُ مثلكم ، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى** » أخرجه أحمد والشيخان عن أنس . وإنما تُصاب ظواهرهم بالأمراض تعظيماً لأجرهم ، والله تعالى قادر على أن يكون ثواب ذلك من غير ذلك . ولكنه اختار ذلك ـ سبحانه ـ لحكمة لو لم يكن منها إلا زيادة تصديقهم والرفق بضعفاء العقول من تابعيهم لكفى .

(وفيه) أيضاً تشريع للأمة ليكون لهم قدوة ، فلا يضجروا عند نزول الحوادث ، وليصبروا كما صبر من هو أفضل وأعلى منهم (الأنبياء) وليعلموا قيمة الدنيا وأنها حقيرة عندالله تعالى ، ففى الحديث : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء** » .

أخرجه الترمذى عن سهل بن سعد .

* * فلاحظ كل هذا ـ أخا الاسلام ـ وكن دائما وأبداً على علم به ؛ حتى تكون بهذا من المؤمنين حقاً .

وليكن شعارك ودعاؤك هو المشار إليه في خاتمة سورة البقرة الذى أرجو أن يكون وردك : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (١) .

آمين .. آمين .. آمين

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء المرسلين عليهم جميعا الصلاة والسلام إلى يوم الدين .

---

(١) البقرة : الآيتان : ٢٨٥ و٢٨٦ .

وخِتاماً :

أخا الإسلام ، وبعد أن وقفت على هذا الخير الكبير ، الذى كان لزاماً عليك ـ كما تأكد لك هذا ـ أن تكون عليماً به .. أحب أن أزودك كذلك فى ختام هذا العرض السريع ببعض البشريات التى وردت فى الكتب السابقة (الأسفار) عن حبيبنا المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى تكون على علم بها، وحتى تكون كذلك فى نفس الوقت من الداعين إلى دخول الناس فى الإسلام ، تحت لواء رسول الله ، رسول الإسلام ، عليه الصلاة والسلام .

* * فإليك بعض تلك البشارات من التوراة والإنجيل [1] :

* ففى التوراة : تنبأ سيدنا موسى عليه السلام ببعث الكريم فى عدة آيات ، فقال :

١ـ فى سفر التثنية ٣٣ : ٣ **« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران »**

---

(١) كما جاء فى كتاب : (محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن) للأستاذ إبراهيم خليل أحمد ـ بتصرف وإيجاز .

وفاران : مجاز عن الأرض التى سكن إليها جد الرسول الكريم، سيدنا إسماعيل عليه السلام .

٢- وفى سفر التثنية ١٨ : ١٥ « **يقيم لك الرب إلهك نَبِيّاً من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون** »

٣- وفى سفر التثنية ١٨ : ١٨ « **أُقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به** » .

والإعجاز فى هاتين الآيتين فى العبارة : « **من إخوتك ، من وسط إخوتهم** » ، والإعجاز الأقوى فى قوله : « **أجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به** » ، هذا هو الإعجاز فى النبوة .

* ومن نبوءات الإنجيل : يقول سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين : « **إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية** » . (إنجيل يوحنا ١٦ : ١٢ ، ١٣) .

وتستطيع بين قول عيسى فى هذه الآية ، وقول موسى فى الآية التى وردت آنفًا بصحيفة : ٢٣ « **وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به** » أن تجد الأضواء تسلط على نبى سيأتى ، من هذا النبى ؟ لم يكن موسى ، ولم يكن عيسى ، فمن هذا النبى الكريم ؟ إن الأضواء تتجمع فى بؤرة واحدة لتكشف عن شخصية هذا النبى .

ويوضح هذا ـ صاحب كتاب : محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ـ ، فيقول : [١] .

ولعل سيدنا عيسى عليه السلام يزيد وضوحًا فى تعريفه عن هذا النبى ، فيخبرنا عنه : أنه (روح الحق) ، ولسيدنا محمد أسماء منها : (روح الحق) ، ويحدثنا الله عن الرسول الكريم ، فيقول : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [٢]

وهذا يتفق مع قول الرسولين الكبيرين : موسى وعيسى عليهما السلام : « **لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع**

---

(١) وهو الأستاذ إبراهيم خليل . أكرمه الله .

(٢) النجم : ٣ ـ ٥ .

يتكلم به » ، « وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

ويرتبط هذا النبى بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح فى قوله عنه : « **ويخبركم بأمور آتية** » ، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقى الزمن .

فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث فى كل مناحيه : من طِبٍّ، وفلك ، وجغرافيا ، وجيولوجيا ، وقانون ، واجتماع ، وتاريخ.

ففى أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف : أن يرى الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، إذ قال تيتوف أثناء رحلته فى الفضاء حول الكرة الأرضية : إنه ذهل لهذا المنظر عند بزوغ الخيوط الأولى من النور لتنقشع على أثرها الخيوط الأخيرة للظلام ، وفى رحلته استطاع أن يرى كروية الأرض ، قد سبق القرآن الكريم فوضح الأمر بقوله : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [1] .

* ويتحدث جاجارين عن رحلته فى الفضاء إلى القمر بمشاهداته للأفلاك ، ولكن القرآن الكريم قد سبق ، فأخبر بالأمر

---

(1) النازعات : الآية ٣٠ .

فى قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [2] .

صدق الله العظيم .

ثم يقول [3] أنار الله بصيرته : وأعتقد أنى لو كنت إنساناً طبيعيا لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية ، وجاءنى نفر من الناس وحدثنى بما سبق به القرآن العلم الحديث فى كل مناحيه ـ لآمنت برب العزة والجبروت ، خالق السماوات والأرض ، ولن أشرك به أحداً .. فكيف بى وقد أضاء الله قلبى بنور من الإيمان بتلكم الرسالات السماوية . فما إن أشرقت شمس الإسلام حتى تمت الاستنارة المطلقة والإيمان الكامل :

* ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [4] .

---

(١) لقمان : من الآية ١٠ .

(٢) أوائل سورة الشمس .

(٣) أى الأستاذ إبراهيم خليل أحمد . اكرمه الله .

(٤) المائدة : من الآية ٣ .

* * ولقد أعجبنى ، كذلك ما قاله تحت عنوان :

المسيح عليه السلام صوت يتنبأ بمقدم الرسول الكريم

لقد جهد المسيح عليه السلام من الكهنة ، والكتبة ، والفريسيين ، والصدوقيين ،وندد بهم بقوله : « **ليس كل من يقول : يارب ، يارب ، يدخل ملكوت السماوات . بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السماوات . كثيرون يقولون لى فى ذلك اليوم : يارب ، يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم** » ، (إنجيل متى ٧: ٢١ ـ ٢٣) .

* وآسى للشعب فقال عنهم : « **يقترب إلى هذا الشعب بفمه ، ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس** » ، (إنجيل متى ١٥: ٨ ، ٩) .

* وفى هذا القول ترديد لما قاله نبى العهد القديم أشعياء وهو فى أرض السبى فى بابل سنة ٧٠١ ق.م : « **فقال السيد إن هذا**

الشعب قد اقترب إلى بفمه ، وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى بعيداً ، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمه. لذلك ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ، فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون : مَن يُبصرنا ؟ ومَن يعرفنا ؟ يالَتحريفكم ! هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى . أو يقول الجبلة عن جابلها لم يفهم؟» ، (سفر أشعياء ٢٩ : ١٣ ـ ١٦) .

فيقرر سيدنا عيسى عليه السلام قرار الرب ، بانتزاع النبوة والكتاب من ذرية إسحاق ، إلى ذرية من ؟

* « قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون ، هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » ، (إنجيل متى ٢١ : ٤٢,٤٣) .

ولتفسير هذا القرار الخطير : نقرأ الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « مثلى ومثل

الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً ، فاحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون: ألا وُضعتْ هاهنا لَبِنَةٌ فيتم البناء ؟ قال ﷺ : فأنا اللبنة ، جئتُ فختمت الأنبياء » ، وقد روى هذا الحديث بألفاظ متقاربة ومختلفة عن أبي هريرة وأبي سعيد ، وجابر رضي الله عنهم (راجع باب ذكر كونه ﷺ خاتم الأنبياء ، من كتاب الفضائل ج ٤ ؛ صحيح مسلم ، طبع الحلبي) .

فصدق رسول الله الذي يؤيده القدير بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

ومعنى قول يسوع : « **إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره** » يؤيده قول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ ﴾ (٢) .

---

(١) الحاقة : الآيات من ٤٠ ـ ٤٣ .

(٢) آل عمران : من الآية ١١٠ .

ولعلك ـ أيها الأخ القارئ ـ قد استطعت أن تدرك المقصود بالحجر : إنه مجاز عن الرسول الكريم ، كما أن فاران مجاز عن الأرض التى سكنها جد الرسول الكريم سيدنا إسماعيل عليه السلام

ومن هنا نستطيع أن ندرك النبوءة العظمى التى تنبأ بها ملك وثنى ، وعبر عنها نبى من بنى إسرائيل هو سيدنا دانيال نبى الله فى العبارة : « **كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين ، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ، فانسحق حينئذ الحديد ، والفضة والذهب معاً ، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف ، فحملتها الريح، فلم يوجد لها مكان ... أما الحجر الذى ضرب التمثال ـ فصار جبلاً كبيراً ، وملأ الأرض كلها** » .

هذه هى الحقيقة التاريخية التى وردت فى الأنبياء فى سفر دانيال ـ تؤيدها الحقيقة التاريخية إبَّانَ بزوغ الإسلام وتقويضه لإمبراطورية الرومان بالغرب ، وفارس فى الشرق ، وامتداد الإسلام شرقًا وغربًا ، وشمالاً وجنوباً .

* وفى هذه الحقبة من الزمن يتنبأ نبى آخر عن الجزيرة العربية وعن البلد الأمين ، وعن مناسك الحج ، فيتحدث عن بزوغ نور

الإسلام ، بقوله : « **ها هى الظلمة تغطى الأرض ، والظلام الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك** » .

وهذه حقيقة تاريخية يثبتها التاريخ ، فبينما كان العالم الشرقى والعالم الغربى بفلسفاتهما العقيمة يعيشان فى دياجير ظلام الفكر ، وفساد العبادة ـ بزغ من مكة المكرمة ـ فى شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نورٌ وَضَّاء ، أضاء على العالم ، فهداه إلى الإسلام .

ويتحدث عن إقبال الأمم لمكة ولبيت الله الحرام ، يسوقون الهدى للذبح على جبل عرفات بقوله : « **تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ... تبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى ، وأزين بيت جمالى** » .

* * وأحب بعد هذا التلخيص السريع الذى نقلته بتصرف من كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن) للأخ المهتدى للإسلام : إبراهيم خليل أحمد : أن يعلم

الأخ القارئ أن الأخ إبراهيم خليل أحمد ، كان يعمل :

* قسيساً راعياً لكنيسة باقور / أسيوط سنة ١٩٥١ م .

* وعين قسيساً أستاذاً للعقائد والإسلام بكلية اللاهوت بأسيوط سنة ١٩٥٣م .

* وعين قسيساً مبشراً بالإرسالية الألمانية السويسرية فى أسوان سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٥٥م .

وهو حاصل على :

* دبلوم كلية أسيوط الأمريكية ـ أسيوط ـ سنة ١٩٤٢م ، دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية المشيخية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٤٨م .

* وقد شرح الله صدره للإسلام بعد أن تأكد له عن طريق هذا العلم الذى وصل إليه بنور من الله : أن الإسلام هو الدين الصحيح .. فصار بَعْدُ من الدعاة إلى الإسلام والمدافعين عنه .

* وقد أعجبنى ما قاله الأستاذ السيد أبو الفيض قاسم مظهر .. فى ذكرى ميلاد هذا الأخ المهتدى :

بالحـق أسـريتَ لما الحـق ناداكا

وازّيَّنَـتْ بجـلال النـور دنيـاكَا

بالأمس جئت لروضٍ كنتَ تجهله

واليـوم تعرفـه عمقًـا وإدراكَـا

يا تاركًا دين عَيسى غير كارهه

لكـن كرهـتَ به إفكًـا وأُفأكَا

كرهْتَ قوماً على نهج الهدى اختلفوا

وطلسموا الفكر تعقيداً وإشراكَا

وزيفـوا منطق التوحيـد واختلقوا

مناهجاً نَثَرَتْ في الروض أشواكَا

وفلسفوا كل شيء في عقيدتهم

حتى أضافوا لأهل الشك شُكَّاكَا

فَرُحْـتَ تُغْـلِقُ للشيطان نافذة

ورُحْـتَ تفتـح للرحمـن شُبَّاكَا

سألت قلبك تستفتى مشاعره

في لهفة لم تعد تخفى بنجواكَا

فكان بالحب والإعجاب منطقه

ومنطـق الحـق بالأسـرار أفتاكَا

وقـال قلبـك : يا ربى أنا قـلق

وليـس يدرك شجو القلب إلاكَا

سمعتَ صوت الهدى ينساب متئدًا

إليك واغرورقَتْ بالشجو عيناكَا

أبا الخليل وهذى كنية سَلَفَـتْ

بهـا المحبـة من قلـب تَصبَّاكَـا

الرائد السيد الزاكى بفطـرته

ومـن يسر المـنى والحق أرضاكَا

أهدى إليك الرضا لما أتيتَ له

والبشـر رفَّ وغنَّى فى مـحياكَا

أهدى إليك سلام الروح منطلقًا

مــن بعــد يأس وإظلام تَغشَّاكَا

فبــارك الله بالنُّعْمــَى عشيرتَنا

وبــارك الله مَن بالخير سَمَّاكَــا

* * وأخيـراً :قل معى ـ أخـا الإسـلام ـ مـا قـاله الإمـام البوصيرى رحمه الله :

يا رب صلِّ على المختار من مُضَرٍ

والأنبيا وجميــع الرُّسْــل ما ذُكِرُوا

وصَــلِّ رب علــى الهــادى وشيعتــه

وصحبــه مَن لِطَيِّ الدين قد نشروا

وجاهَــدُوا معــه فى اللــه واجتهدوا

وهاجــروا وله آووا وقــد نصــــــروا

وبينــوا الفــرضَ والمسنونَ واعتصبوا

للــه واعتصمــوا باللــه فانتصــــروا

أزكـى صـلاة وأنمـاها وأشرفَهـا

يُعَطِّـرُ الكـونَ رَيَّـا نَشْـرِها العَطِـرُ

معبوقـةٌ بعبيـقِ المسـكِ زاكيـةٌ

مـن طِيبهـا أَرَجُ الرضوان ينتشِـرُ

عَـدَّ الحصـى والثَّرى والرمل يتبعُهَا

نجـم السمـا ونباتُ الأرض والْمَدَرُ

وعَـدَّ وَزْنِ مثاقيـل الجبـال كمـا

يليـه قطـر جميـعِ المـاءِ والمطـرُ

وعـدَّ ماحَـوَتْ الأشجـارُ من ورقٍ

وكـل حـرف غدا يُتـلى ويُسْتَطَـرُ

والوحشِ والطير والأسماكِ مَعْ نَعَمٍ

يَليهُـم الجـن والأمـلاكُ والْبَشَـرُ

والذرُّ والنملُ مَعْ جَمْعِ الحبوبِ ،كذا

والشَّعْـرُ والصوف والأرياشُ والوبَرُ

ومـا أحاط بـه العلـم المحيطُ ومَا

جَــرى بـه القلـم المامـورُ والقَــدَرُ

وعَـدّ نعمائـك اللاتى مَنَنْتَ بهـا

عـلى الخلائقِ مُذ كانوا ومُذ حـُشِروا

وَعَـدّ مِقدارِه السامِي الذى شَرُفَتْ

بــه النبيــون والأمـلاكُ وافتخــروا

وعَدّ ماكان فى الأكوان ياسَندى

ومـا يكــونُ إلــى أن تبعـثَ الصُّوَرُ

فى كل طَرْفَةِ عينٍ يَطْرَفُونَ بَها

أهــلُ السمـاواتِ والأرضـين أو يذَرُوا

ملءَ السمواتِ والأرضينَ معْ جَبَلٍ

والفَرْشِ والعَرْشِ والكرسِي وما حَصَرُوا

ما أعدم الله موجودا وأوجد مَعْـ

ـدُوما صـلاةَ دَوَامًـا لـيس تنحَصِـرُ

تستغرق العدَّ معْ جمع الدهور كَمَا

تحــيط بالحــدِّ لاتُبــقِي ولاتَــذَرُ

لاغـايةٌ وانتهــاءً ياعــظيمُ لَهَــا

وَلاَ لهــا أَمَــدٌ يُقــضى فيُعتَــبَرُ

وَعَــدُّ أضــعافِ ما قد مَرَّ من عَدَدٍ

مَــعْ ضِعــفِ أعداده يَا مَن له القَدَرُ

كَمـا تُحــبُّ وتَرضــى سيِّدى وكَمَا

أمرتَنــا أن نُصلِّــى أنــتَ مُقْتَــدِرُ

مــع الســلام كمــا قد مَــرَّ من عَدَدٍ

ربِّــى وضاعِفْهُمــا والفضــل مُنتَشِــرُ

وَكُــلُّ ذلــكَ مَضْــروبٌ بحَقِّــكَ فِي

أنفــاسِ خلقـكَ إن قلُّوا وإن كثُروا

يــارب واغفــر لقاريهــا وَسَــامِعِهَــا

والمسلمينَ جميعًــا أينمــا حَضَــروا

وَوَالِـدينَـا وَأهـلينَـا وجيـرَتِنَـا

وكلنـا سيِّـدى للعفـوِ مُفْتَـقِـرُ

وقـد أتيـتُ ذُنـوبًـا لا عِـدَاد لها

لكـن عفـوك لا يُبقِـى ولا يَـذَرُ

فهرس الموضوعات

الصفحة

فهرس الموضوعات

الصفحة

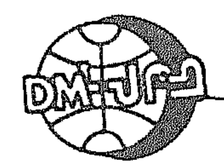
فهرس الموضوعات

هذا الكتاب ...

كما سيرى الأخ المسلم مع إيجازه . . يُعتبر من أهم ما ينبغى على المسلم أن يكون مُحيطاً به . . وذلك لأنه يدور مع الشرح والتفصيل الموضوعى ، حول : (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام) .

● ولسوف يتأكد للأخ المسلم بعد قراءته . . أنه كان لابد وأن يقف على كل ما فيه . . حتى يتعرف على جميع الأنبياء والمرسلين المذكورين فى القرآن الكريم . . بالإضافة إلى الرد على بعض الشبه المتعلقة ببعضهم . . والتى منها على سبيل المثال . . موضوع سيدنا يوسف عليه السلام المشار إليه فى قول الله تعالى : ﴿ ولقد هَمت به وهمَّ بها لولا أن رأى بُرهان ربه ﴾ . . وأيضاً بالإضافة إلى أهم المعجزات المتعلقة بجميع الأنبياء والمرسلين . . وكذلك البشريات التى سبقت بعثة سيدنا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الناشر



الدار المصرية اللبنانية — طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً دار شادو - ص ب ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH — PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX. 3909618 CABLE DARSHADO